جامعة حمّه لخضر الوادي
قسم اللغة العربية وآدابها
كلية الآداب واللغات
تخصص لغة

علاقة اللهجة باللغة الفصحى في الشعر العربي

(منطقة وادي سوف أنموذجا)

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس (ل.م.د) في اللغة العربية وآدابها

من إعداد الطالبات:
- ✓ إيمان علاق
- ✓ خولة كساب

تحت إشراف الأستاذ:
صلاح ياسين

الموسم الجامعي:1435-1436هـ/2014-2015م

دعاء

اللهم اني اسالك خير المسالة، وخير العمل وخير الثواب،وخير المعاملة،وخير المصادقة،وخير الممات،اللهم علمني ما ينفعني وانفعني بما علمتني،وزدني علما.

اللهم اني اعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع،ونفسا لا تشبع، ودعة ليستجاب لها اللهم لتدعني اصاب بالغرور،اذا نجحت،ولا باليأس اذا فشلت،بل ذكرني دائما ان الفشل هو الخطوة التي تسبق النجاح.

وأخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين.

شكر وعرفان

تتقدم بالشكر الجزيل الى جامعة الوادي حمه لخضر التي اتاحت لنا الفرصة للتقدم في درجات العلم وتتقدم بفائق تقديرنا واحترامنا لاستأذنا الفاضل مصطفى دهانه الذي اعاننا في هذا البحث بالإرشاد والتوجيه حتى ظهر البحث على الصورة التي هو عليها كما نتوجه بالشكر للأستاذ يوسف غريب الذي ساعدنا ايضا في انجاز هذا البحث.

ولا يفوتنا ان نشكر كل من ساعدنا في انجاز هذا البحث ولا نملك سوى ان نسال الله ﷻ ان يجزيهم خير الجزاء وان يجعل ذلك في ميزان حسناتهم

قال الله تعالى اقرا باسم ربك الذي خلق، خلق الانسان من علق،اقرا وربك الاكرم الذي علم بالقلم، علم الانسان ما لم يعلم سورة الفلق

الـــمقـــــدمـــــة

اللغة العربية احدى لغات العالم الحية التي تتميز عن غيرها، بإرتباطها بكتاب الله سبحانه وتعالى الذي اعطاها الحيوية وجعل لها مكانة معروفة وبارزة بين اللغات العالمية الاخرى، إذ اخذت على عاتقها حمل الرسالة السماوية وتبليغها للبشرية كافة بعد أن شرفها الله تعالى وأنزل القرآن الكريم بلسان عربيا مبين.

وإستنادا لهذه الاهمية التي تتمتع بها اللغة العربية أولى العرب لغتهم إهتماما كبيرا لأنها تعكس ما يعلمونه من ثقافة وعلم وحضارة في الجانب المقابل نجد ما يسمى باللهجات التي منشأها في الاساس اللغة العربية من بين هذه اللهجات نذكر اللهجة العامية التي أصبحت تشكل خطرا كبيرا وتهديدا واضحا للغة الام من خلال انتشارها الواسع الذي منحها صدا وصيتا كبيرين أصبح استعمالها غير مرتبط بالشارع فقط ويصبح استعمالها في مراكز التربوية امرا عاديا حتى طغى استعمالها على اللغة الام.

من هذا المنطلق ارتأينا أن ندرس هذا الموضوع المرسوم ب: علاقة اللهجة باللغة الفصحى في الشعر العربي حيث كان سبب اختيارنا رغبتنا في معرفة العلاقة الوطيدة التي تربط هذه اللهجات باللغة الأم إضافة الى معرفة الاسباب التي ساهمت في الانتشار الواسع للهجة العامية على حساب اللغة الام.

من خلال ما سبق ذكره يمكننا طرح الاشكالية التالية:

في ما تتمثل العلاقة بين اللهجة العامية واللغة الفصحى في شعر العربي؟

والخوض في هذه الاشكالية اتبعنا المنهج الوصفي الملائم لسرد المعلومات خاصة في الجانب النظري في هاته الدراسة، والتحليل في الجانب التطبيقي قصد الوصول الى نقاط إلتقاء اللهجة العمة مع اللغة الفصحى في الشعر العربي.

ولقد قسمنا موضوعنا هذا الى فصلين أولهما كان نظريا تحت عنوان: ماهية اللهجة العامية واللغة الفصحى حيث حددنا مفهوم كل المصطلحات الاساسية في الموضوع.

والثاني كان تطبيقيا تحت عنوان: علاقة اللهجة باللغة الفصحى الذي تناولنا فيه الازدواجية بين اللغة الفصحى واللغة العامية، وكذا تطرقنا لجوانب اللغة الفصحى واللهجة العامية بشكل مفصل ثم

انتقلنا الى النموذج التطبيقي الممثل في دراسة العلاقة بين الشعر العربي (غد وعبير لناصر لوحيشي) والشعر العامي في منطقة واد سوف (فقدان الام الأولاد لعلي عناد).

واعتمدنا في هذه الدراسة على مجموعة من المصادر والمراجع كان اهمها كتاب نحو عربية ميسرة لصاحبه أنيس فريحة، وكتاب لسان العرب لصاحبه ابن منظور وعبد الواحد وافي لكتابه فقه اللغة ومن الطبيعي ان يصادف كل باحث او دارس في اي موضوع مجموعة من الصعوبات لذا فقد واجهنا الكثير منها ويمكن تلخيصها في قلة الدراسات التي تناولت هذا الموضوع، اضافة الى تداخل المعلومات وتشعبها في كثير من المراجع وذلك راجع الى المنشأ الاول اللهجة العامية الا وهو اللغة الفصحى.

وفي الاخير نرجوا ان نكون قد وفقنا في دراسة هذا الموضوع، في محاولة منا الالمام بجميع جوانبه، ولا ننسى أن نشكر الاستاذ المشرف صلاح ياسين على مجهوداته التي بذلها معنا.

الفصل الأول: ماهية العامية واللغة الفصحى

أولا: ماهية العامية

1- تعريف العامية.

2- أقسامها.

3- خصائصها.

4- العامية عند العرب.

5- الدعوة للعامية.

ثانيا: ماهية اللغة الفصحى.

1- نشأة الفصحى.

2- مميزاتها.

3- خصائصها.

4- الأهمية.

5- علاقة اللغة العربية بالعامية.

6- أسباب ضعف اللغة العربية.

أولا: ماهية العامية

1- تعريف العامية:

تعدد من عرف العامية وتعدد من خلالهم التعريف فهناك من يراها لغة قائمة بذاتها وهناك من يراها مأخوذة عن الفصحى أو مرتبطة بها أو تندرج منها ولكل من هؤلاء رأي خاصا به.

يرى الدكتور كمال بشر: "إن العامية أو الدارجة، لغات غير نامية بينما اللهجة هي التنوع ذو القرابة بالأصل والمتولد عن أصل عام".[1]

وقال دعاة العامية "أن العامية لغة قائمة بذاتها لها قواعدها وأصولها وهي لغة ذات منهج منطقي تصلح وسيلة ناجحة للتعليم كما تمتاز به مرونة وسهولة، وما تتمتع به من قربها من واقع المتكلمين بها"[2]

ويقر الأستاذ كمال يوسف الحاج: "أنها مأخوذة عن الفصحى ومرتبطة بها فمثلا "ويش بدي" في العامية هي "أي شيء تود" في الفصحى وذكر مالك في العامية هي "أفعل ذلك كرامة لك" في الفصحى...[3]

ويعتبر أنيس فريحة "العامية لغة قائمة بذاتها حيث متطورة نامية، تتميز بجمع الصفات تجعل منها أداة طبيعية للفهم والإفهام والتعبير عن دواخل النفس، وأن لها قواعد وأصول وإذا شذ عنها شاذ فكأنما خرج عن طريق مقررة".[4]

وعد الكثير من الدارسين أن العامية لغة قائمة بذاتها بنظامها الصوتي والصرفي والنحوي والمفردات باعتبار هذا التطور لغويا خاضعا للمتغيرات السيئة المعروفة فهي إذن ليست تقهقرا ولا انحطاطا من الفصحى وإنما هي تشكل من الإستعمال اللغوي يركن إلى السهولة والتميز والإسترسال من خلال تحديث اللغة الفصحى.

وللعامية العديد من المسميات من بينها العامية والشعبية والمحلية والمحكية والدارجة.[5]

---

[1]- كمال بشر، علم اللغة الإجتماعي، دار الغريب، مصر، ط3،1997م، ص224.

[2]- نذير محمد مكتبي، الفصحى في مواجهة التحديات، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1991م، ص152.

[3]- فضيلة طريلي وآخرون، مذكرة بين الفصحى والعامية دراسة في التراكيب النحوية،، كلية العلوم الانسانية ولاجتماعية، جامعة باتنة، 2004-2005م،ص9.

[4]- أنيس فريحة، نحو عربية ميسرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط2، 1981م، ص116.

[5]- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ أداب العربي، المكتبة العصرية صيدا للطباعة والنشر، بيروت، ط1، ج1، 2000م، ص194.

والعامية عند "أحمد عبد السلام": تلاقي نظرة غير تقليدية إذ يقول "لا تدعي أن العامية تعاني عقما أصليا جوهريا في أداء معاني الحضارة والتعبير عن دقائق التفكير، بل لا شك أنها إن ربطت مدة طويلة على ذلك التعبير تصير قادرة عليه".[1]

فالعامية تأتي مركونة عاميا دارجا تخلو منه العربية الفصيحة.[2]

ونقول أيضا اللهجة العامية: إذن هي اللسان الذي يستعمله عامة الناس–مشافهة– في حياتهم اليومية، لقضاء حاجاتهم والتفاهم فيما بينهم ومع مرور الزمن تتخذ هذه اللهجة صفات لغوية خاصة بها، متأثرة بالعوامل البيئية التي وجدت فيها.[3]

2– أقسام العامية:

يقترح علي عبد الواحد الوافي تقسيم الدارجة إلى خمس مجموعات تشتمل كل مجموعة منها على لهجات متقاربة في أصواتها ومفرداتها وأساليبها وقواعدها، ومتفقة في المؤثرات التي خضعت لها في تطورها.[4]

كما رأينا عند ابن خلدون، تجميع النوعيات في لهجة واحدة يتم وفقا لمعايير داخلية تتعلق باتفاق الخصائص الصوتية والمعجمية والصرفية والنحوية، ولمعايير خارجية تمس تأثير اللغات المجاورة.

– اللهجة الحجازية– النجدية: وتشمل لهجات الحجاز ونجد اليمن.

– اللهجات السورية: وتشمل اللهجات العربية المستخدمة في سوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن.

– اللهجات العراقية: وتشمل اللهجات العربية المستعملة في العراق.

– اللهجات المصرية: وتشمل جميع اللهجات العربية المستعملة في مصر والسودان.

– اللهجات المغربية: وتشمل جميع اللهجات العربية المستخدمة في شمال إفريقيا.

لا نستطيع أن نعرف من خلال دراسة الباحث ماهي السمة الطاغية أهي وجوه الاختلاف؟ حيث يقول" ومع كثرة وجوه الاختلاف بين هذه المجموعات الخمس فإن المتكلمين بإحداها يستطيعون، مع شيء من الانتباه أن يفهموا كثيرا من حديث أهل المجموعات الأخرى لاتفاقها في معظم أصول المفردات والقواعد الأساسية ومنحى الأساليب".

---

[1]– أحمد العمايرة، بحوث في اللغة والتربية، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2002م، ص389.

[2]– إبراهيم السامرائي، العربية تاريخ وتطور، مكتبة المعارف، لبنان، ط1، 1993م، ص302.

[3]– نايف محمد معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها–الموجه الفني لتدريس اللغة العربية في مدارس الأونروا–اليونسكو، لبنان، دار النفائس، ط1، 1998م، ص55.

[4]– عبد الواحد وافي، فقه اللغة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، (د.ط)، 2003م، ص(116–117).

العبارات المتناقضة التي يمكن أن تؤول حسب السياق في اتجاه أو الاتجاه المعاكس تماما إذا كان المتكلمون بالدارجة معينة يستطيعون إلى حد أو إلى آخر، أن يفهموا دارجة أخرى، فهذا يعني أننا بصدد لغة واحدة، مهما تكن حدة التنوعات.

ويستكشف الباحث أي الدوارج أقرب إلى الفصحى قائلا: "وأدنى هذه المجموعات إلى العربية الفصحى اللهجات الحجازية والنجدية والمصرية. أما اللهجات النجدية والحجازية، فلنشائها في المواطن الأصلية للعربية الفصحى، ولأن معظم أهل الحجاز ونجد ينتمون إلى عناصر عربية خالصة. وأما اللهجات المصرية، فللأن صراع العربية مع اللسان القبطي الذي كان يتكلم به أهل مصر قبل الفتح العربي لم يكن عنيفا... ومن المقرر أن اللغة التي يتم لها الغلب بدون مقاومة. تخرج من صراع أقوى ما تكون إلى حالتها التي كانت عليها من قبل. هذا إلى أن معظم أهل مصر منحدر من عشائر عربية الأصل".

وأبعد هذه المجموعات عن العربية الفصحى المجموعتان العراقية والمغربية أما العراقية، فلشدة تأثرها بالآرامية والفارسية والتركية والكردية، حتى أن قسما كبيرا من مفرداتها وبعض قواعدها غير عربي الأصل ولذلك يجد المصري مثلا صعوبة في فهم الحديث العراقي، وأما المغربية. فهي أبعد العاميات جميعا عن العربية الفصحى، ويرجع السبب في ذاك إلى شدة تأثرها باللهجات البربرية التي كان يتكلم بها الإنسان قبل الفتح العربي فقد انحرفت من جراء كذلك انحرافا كبيرا عن أصولها الأولى في الأصوات والمفردات وأساليب النطق وفي القواعد نفسها.[1]

من الطرق التي يمكن أن نتبناها لوصف هذه الخصائص المشتركة التي ننسبها إلى العربية اللهجية أو الدارجة النموذجية أن نفترض أن نفس التطور حدث في كل دارجة على حدة ولأسباب مختلفة، الشيء الذي يؤدي إلى اعتماد الاحتمال البعيد. بدلا من الاحتمال القريب والذي مفاده أن هذه الخصائص موروثة عن حالة تاريخية سابقة.

يرجع الباحث كي يجد أن الدوارج المعاصرة "على الرغم من اختلاف هذه اللهجات في ظروفها فقد تأثرت في بعض النواحي بعوامل متحدة، فاتفقت في طائفة من مظاهر التطور".[2]

ومن أبرز "وجوه الاتفاق" هذا تجردها من جميع الحركات التي تلحق آخر الكلمات سواء في ذلك ما كان منها علاقة إعراب وما كان حركة بناء. فينطق في هذه اللهجات بجميع الكلمات مسكنة

[1]- عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص(117-118).

[2]- المرجع نفسه، ص115.

الأواخر، وتلتزم بحالة واحدة في الكلمات المعربة بالحروف، ويعتمد في فهم الأمور التي ترشد إليها في العربية الفصحى علامات الإعراب (وظيفة الكلمة، علاقة عناصر العبارة بعضها ببعض...الخ) على سياق الحديث أو على كلمات مستقلة تذكر في الجملة.[1]

3- خصائص العامية:

لقد اتخذت اللهجات العامية لنفسها قوانين وطوابع خاصة بها تختلف تلك القوانين باختلاف اللهجات ومكان توجهها وعوامل نشأتها والظروف المحيطة بها.

واحتفظت كل لهجة بكثير من خصائص اللغة العربية الفصحى تجعل إمكانية التفاهم القائم بينها ومع ذلك فقد تفاوت ابتعاد اللهجات عن الفصحى بمسافات في قواعد النحو والصرف والتركيب والدلالة والأصوات والمفردات، وقد انحرفت اللهجات العامية عن الفصحى بحسب حاجياتها والعوامل المحيطة بها.

أ- على مستوى الصوت:

- سقوط الأصوات الضعيفة وهذا نتيجة مؤثرات قد تقع حول الحذف كوقوعه في آخر الكلمة أو كونه زائدا عن بنيتها، وعدم توقف المعنى المقصود عليه.

- تغيير موقع الصوت من الكلمة[2]، وقد كان لهذا العامل الأثر المباشر في سقوط أصوات المد القصيرة والحركات التي تلحق أواخر الكلمة مثل اللهجات المتشعبة عن العربية مثل لهجات مصر والعراق والمغرب حيث انقرضت منها أصوات المدة والحركات.

- وقوع الصوت أخر الكلمة يجعله محل السقوط وعرضة للتحول كنون الأفعال الخمسة والهمزة والياء المتطرفتين.[3]

- وقوع الصوت الساكن في وسط الكلمة يعرض لكثير من الصرف، الانحراف والتطور مثل ذلك ما يحدث للهمزة الساكنة الواقعة في وسط الثلاثي (راس-رأس) (فاس-فأس).

- كما أن وقوعه أيضا في أول الكلمة يجعله كذلك عرضة للانحراف فمن ذلك الكلمات المفتتحة بالهمزة إذا تحولت همزتها في بعض اللهجات العامية فاء أو واو.

---

[1]- عبد الواحد وافي، المرجع السابق، ص118.

[2]- فضيلة طريلي وآخرون، المرجع السابق، ص(12-15).

[3]- عبد الملك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مركب الطباعة الراية، (د.ط)،1981م، ص8.

– كما أن انتقال الأصوات الجديدة إلى بعض اللهجات العامية من اللغات الأجنبية التي احتكت بها فمن ذلك ما حدث في لهجة أهل العراق مثل كلمة (عريجي) من المحتمل أن أصلها تركي.[1]

ب– على مستوى المفردات:

وذلك من خلال انتقال كلمات جديدة إلى بعض اللهجات ويكون ذلك باستعمال فقد انتقلت إلى الوطن العربي كلمات كثيرة من اللغات استطاعت الإتصال بأهلها أما ثقافيا أو سياسيا أو اقتصاديا.

– فالجزائر انتقلت لها من مفردات فرنسية[2]، وبلاد الشام تعود كثيرا من مفرداتها إلى التركية والفرنسية أما عن لهجة مصر تعود إلى التركية والفرنسية أو اليونانية والإيطالية وهذا عامل على إثراء اتساع قاموس اللهجات العامية بمفردات بعيدة كل البعد عن الفصحى.

– إنقراض بعض المفردات العامية وهذا عائد إما إلى انقراض مدلولها أو قلة إستخدامها كمسميات الأثاث والملابس والأدوات والتي تستعملها العرب في العرب في العصور الأولى انقرضت ولم يعد لها شأن في عصرنا الحديث.

– يمكن اعتبار هذا العامل أيضا في العربية الفصحى وهو ما يوسع الهوة بينها.[3]

– انقراض بعض الكلمات لتقلها على اللسان أو عدم تلاؤمها مع الحالة التي يخلص إليها أعضاء النطق.

ج– على مستوى النحو والصرف والتركيب:

دخول قواعد جديدة في بعض اللهجات العامية للحاجة إليها في بعض الكلام أو عن طريق احتكاكها باللغات وطريقة الإضافة في بعض الكلمات بتقديم المضاف إليه عن المضاف مثل:

– "كتب خانة" وطريقة تنكير المفردات بذكر كلمة قلة تدل على الوحدة يقال في اللهجة الجزائرية "فرد مرة".

– دخل في معظم هذه اللهجات كذلك زمن جديد للمضارع للدلالة على الاستمرار وقد اختلف اللهجات في الإضافة التي تشري إليها لإدخال الباء في أول الفعل مثل "بكيت" في اللهجة المصرية بالكاف ككتب في اللهجة المغربية.

[1]– عبد المالك مرتاض، المرجع السابق، ص8.

[2]– المرجع نفسه، ص12.

[3]– فضيلة طريلي وآخرون، المرجع السابق، ص13.

– من القواعد المستخدمة كذلك عليه ما تسير عليه اللهجات العربية في الحاضر من تأخير إسم الإشارة عن المشار عليه–إليه–في بعض التركيب مثل "الولد دا" بدلا من "هذا الولد".

– ومن القواعد المستحدثة في اللهجات أيضا كثرة استعمال التصغير في الصفات بدون داعي للتصغير وهذا يجري عادة وغالب في الأوساط الدالة على القلة مثل "صغير" بدلا من "صغير" و"رضيع" بدل "رضيع".[1]

د– على مستوى الدلالة:

تتغير دلالة الكلمات تبعا للحالات التي يكثر فيها الاستخدام فبذلك تتغير الدلالات العامة إلى الخاصة بسبب شيوع استعمالها في مواقع خاصة دون غيرها والعكس صحيح إذ تتغير الدلالة بسبب كثرة الاستخدام الخاص في معاني عامة عن طريق التوسع تزيل التداول خصوصية معناه وتكسبه العموم وكثرة استخدام الكلمة في معنى مجازي محله، كذلك استخدام كلمة في فن من الفنون أو صناعة من الصناعات. بمعنى خاص يجردها هذا الفن أو هذه الصناعة من معناها اللغوي ويقصدها على مدلولها الاصطلاحي هذه التطورات مست كثيرا بل الآلاف من مفردات العربية.

حتى أنه ليندر وجود أو إيجاد مفرد عامي مطابق في مدلوله كل مطابق للمفرد العربي الذي انحدر منه.

وقد تكون عاملا في انحراف الكلمات وتغيير دلالتها وتساعد على توجيهها توجه خاص فتذكير كلمة "ولد" مثلا في العربية جعل دلالتها ترتبط في أذهان الناس بذكر لذلك اقترن مدلولها شيئا فشيئا بالذكر.

كما أنها قد تتغير الألفاظ في انتقالها من جيل اللاحق يفهم جميع الكلمات على الوجه الذي يفهمها عليه السابق.

تغير اللهجات دلالات كثيرة من الكلمات لأن الشيء الذي تدل عليه لحقته تغيرات وتطورات طبيعتها أو عناصره أو وظائفه الاجتماعية المتصلة به فكلمة "الريشة" مثلا كانت تطلق على آلات الكتابة قديما ولكن تغير مدلولها الأصلي فأصبحت تطلق على قطعة من المعدن مشكلة في صورة خاصة.[2]

[1]– فضيلة طريلي وآخرون، المرجع السابق، ص17.

[2]– المرجع نفسه، ص14.

و- تصنيف ألفاظ العامية:

ألفاظ لا تختلف دلالتها في استعمال العامية لها عن دلالتها في الفصحى والاختلاف محصور في الصور النطقية المختلفة عن الفصحى، ومثال ذلك كلمة "بعبع" نقول في عاميتنا المعاصرة "فلان عمال يبعبع" أي يتكلم بصوت عال وسعة تجعل الكلمات تختلط ببعضها البعض فلا يبين كلامه ويكون ذلك عن الغضب والانفعال وخاصة إ ذا كان يتكلم ولا أحد يسمعه وليس فيه تغير دلالي جاء في اللسان عرض "البعبعة" حكاية بعض الأصوات وقيل هو التشبع في عجلة والعلاقة بين البعبعة بمعنى تتابع الكلام بمعنى حكاية الصوت واضحة فحكاية الصوت فيها تتابع بالحروف وملامح تتابع هو الذي يميز اللفظ في العامية واستعمالها في هذا العصر.[1]

ألفاظ التي تستعمل في العامية والفصحى كلتيها والعامية أضافت إليها ملامح ولائية جديدة أو غيرت معناها ومثال ذلك "الدردشة" تستعمل في العامية المعاصرة بمعنى الكلام في أمور متنوعة.

على سبيل التسلية والتفكه مع الأهل والأصحاب "قلت أفوت عليك ندردش "معاك شويا" "خلينا نتونس وندردش" وفي القيم استدرك الزبيب في التاج مادة "درويش" على القاموس وقال فيه "الدردشة وهو اختلاف الكلام وكثرته أهمله الجماعة وهو مستعمل في كلامهم كثيرا".

يلاحظ أن العامية قد أضافته إلى المعنى الذي استدركه الزبيدي صفة أخرى إلى جانب صفة الاختلاط والكثرة هي صفة الودية واللين في الحديث طلبا للتواصل مع الأهل والأصحاب والتسلي والتفكه معهم.[2]

الألفاظ المستعملة والغير مستعملة في الفصحى ومثال ذلك كلمة اللين يطلق في عاميتنا على الحليب إذ أخذ زبدة والفصحى لا تكاد تميز بين مفهومي اللبن والحليب حتى أن الزمخشري[3] لم ينص على هذا التمييز بينهما يدل على أن الفيروز أبادي في نص على هذا الفرق الموجود بين معنيي اللفظ فوجدناه يقول الحليب اللبن المحلوب أو الحليب كما لم يتغير فكأنه إذا خمارته حموضة فإنه لم يصبح حليبا فإنه أصبح شيئا آخر.[4]

[1]- محمد محمد داود، معجم ألفاظ الكلام في العامية دار الغريب للنشر، مصر، (د.ط)،(د.ت)، ص22.

[2]- المرجع نفسه، ص40.

[3]- الزمخشري، أساليب البلاغة، دار الفكر العربي القاهرة للطباعة والنشر، بيروت، (دط)، (دت)، ص3.

[4]- محمد عبد المرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، تح:عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ط)، 1925م، ص39.

فهناك أنواع من العاميات تكون أوضح وأدق من الفصحى وأهل اللغات الأقدمين كأنهم كانوا يعتبرون الحلب للفعل فيقولون حلب اللبن والناقة حلوب وفي حين أنهم كانوا يعتبرون ويطلقون على كل محلوب فلا يكاد نجد في كلامهم شربت الحليب وإنما شربت لبنا وحلبت لبنا، ولا يقولون حلبت حليبا فهذا اللون من العامية أوضح وأدق في هذه المسألة.

في الشعر القديم يقول شاعر قديم: "إلى من بالحنين تشوقي "فهذا الاستعمال العامي قد أقيم على حقيقة الأمر على استعمال فصيح محفوظ معروف في كلام البلغاء المشهود لهم بالفصاحة الموثوقة في كلامهم، وكل ما في الأمر أن علماء النحو الأقدمين يزعمون أن حرف النون يجوز حذفه من الكلام إذا كان شعرا فقط، فالنحات يبيحون للشعراء ما لا يبيحونه للكتاب وهذا ما يتناقض مع المنطق هذه التحريفات التي نجدها في العربية تكون وتشكل سببا في نشوء تلك اللهجات والعاميات.

مثال ثاني: "بدي دش" أصل استعمال الدش في العامية المعاصرة هو اسم لآلة معروف التي تستخدم في الاغتسال والتعبير " بديه دش" يحمل دلالة الكلام الكثير الذي يخجل من يقال له وكأن المتحدث قد عم بجسمه كما تفعل هذه الآلة وليس للمادة هذا بمعنى في الفصحى القديمة وأصل الدشة في المعجميات هو الطحن والعلاقة بين المعنى القديم والاستعمال الأصلي لها العامية بمعاصرة هو وجه مشابه فكلاهما يعمل عن التفريق والتجزئة الدش طن الحب أي تحويله إلى أجزاء صغيرة والدش أداة تعمل على تفريق الماء.[1]

4- العامية عند العرب:

قد علمت كيف بدأت العامية وكيف خرجت من اللحن، وأن ذلك لم يكن إلا في أوائل الإسلام فلا عبرة بما يهجس به البعض أولئك الذين تراهم في مجازفتهم وتخرصهم كأنما يشرحون للناس الغيب فيزعمون أن العامية كانت لغة بعض العرب في الجاهلية الأولى، وأن القوم كان لهم فصيح وعامي معتلين لذلك بما عثر عليه من آثار بعض رعاة تلول الصف وغيرهم مما يرجع إلى غابر أزمانهم، ثم وجدوه من المخططات التي جرت فيها كلمات تشبه الفصيح، ونحن نقول أن كل ذلك لا يلحق العرب من سيئه شيء، لأن أطراف الجزيرة لم تكن خالصة العروبة في القديم بل كان أهلها مغلوبين على أمرهم، فلم يكن لهم من معنى اللغة إلا تعاون المنطق والاستبداد بالكلمات فيلقونها ممن حولهم لأن ملكات الوضع العربي فيهم غير صحيحة، وشروطه غير تامة، وليس كل عربي الجنس عربي

[1]- محمد محمد داود، المرجع السابق، ص116.

اللسان: وإلا فما بال الحمير بين ومن قبلهم من الأمم السالفة؟ فكما أن لهؤلاء لغة متميزة عن العربية الفصحى نشأت عن أسباب خاصة، كذلك تعال من غيرهم ممن تميزت لغتهم عن المضرية، ولا يذهبن عنك أن هذه المضرية الفصحى لم تخلق مضرية فصحى، بل مرت في أطوار زمنية هذبت منها وأخلصتها كما بيناه في موضعه، فلا يمكن أن تقال أنه كان للعرب فصيح وعامي، إلا إذا أجرينا عليهم أحكامنا وألزمناهم ما لزمنا من ضعف النظر وسوء التأول، واعتبرنا ما بيننا وبينهم من تقاوم التأريخ كأنه سواد ليل ختم به الأمس وكل ما صح من ذلك قبل الإسلام حيث فشت المضرية، أن الذين كانوا يسكنون الريف من العرب ويضربون على حدود الأعاجم، كانت ترق طباعهم وتلين ألفاظهم ويكثر الدخيل فيهم، ومن ثم لا يكون لهم جفاء الخلص وقوة ملكاتهم، واعتبر ذلك بعدي بن زياد العبادي الشاعر الذي نشأ في ديوان كسرى، فكل شعره فصيح لا لحن فيه، إلا أن رقة ألفاظه سوغت للرواة أن يحملوا عليه شعرا كثيرا مما يسهل وضعه ولا يباين ديباجته الحضرية فيصعب تمييزه في النسبة ومما تذكره ثبتا لما نحن فيه، أن الرواة قد جلسوا خلال البادية بعد الإسلام بقليل، وضربوا في أطرافها، وشافهوا القبائل، ونقلوا عنهم الكثير من الشاذ والدخيل والوحشي والمتروك، ورأيناهم عدوا ذلك جميعه لغات، بل كانوا يجعلون الاحتجاج بلغاتهم على نسبة بعدهم من قريش التي هي سرة العرب، فاعتبروا لغة قريش أفصح اللغات وأصرحها ، لبعدهم عن بلاد العجم من جميع جهاتهم، ثم من أكتنفهم من ثقيف وهذيل وخزاعة وبن كنانة وغطفان وبني أسد وبني تميم، ثم تركوا الأخذ عمن بعد عنهم من ربيعة ولخم وجذام وغسان وإياد وقضاعة وعرب اليمن لمجاورتهم الفرس، والروم والحبشة فاعتادوا لغاتهم غير صريحة لذلك، وهم على كونهم أغفلوا أمرها قد نقلوا منها أشياء كما مر في لهجات العرب فلو أنهم عرفوا لهم عامية أو ما هو في حكمها، لأشاروا إليها في بعض الروايات، ولما صح أن يعدوا ما نقلوه عنهم في باب اللغات، هذا على أنهم أدركوهم وقد تتابعت أجيالهم وانتالوا أواخر على الأوائل.

في مخالطة الأعاجم وملابستهم، فلأن ينزهوا عن العامية في جاهليتهم الأولى وما زالت لغات العرب جارية على سنن الفطرة، معتبرة في حكم اللغات المستقلة، على ما يكون في طبقات كلامهم من الجزل والسخيف المليح والحسن والقبيح والسميح والخفيف والثقيل، وذلك كما قال الجاحظ كله عربي، وبكل قديما دحوا وتعايبوا- مازالت لغتهم على ذلك حتى خالطوا السوقة في الأمصار الإسلامية ونشأت أجيالهم على سماع العرب والعامة، فأخذوا من هؤلاء، وكان ذلك سريعا في ألسنتهم، ففسدت السليقة العربية فسادا عربيا أحال منطقهم، وقد كانت مخالطتهم للأعاجم أبقى على فطرتهم، لأنهم

إنما يعربون وينقلون عنهم، ولكنهم لا يحكونهم في المنطق، بخلاف أمرهم مع العامة ولكل شيء آفة من جنسه لهذا رأينا الجاحظ يعد أقبح اللحن في زمنه لحن الأعاريب النازلين على طرق السابلة وبقرب مجامع الأسواق ومن هنا دب الفساد في ألسنتهم بما يدور على مسامعهم من رطانة السوقة ولحن البلدين، ثم ما يتعاطونه من هذا الشأن وفي مخاطبتهم التي بها قوام المعاملات فلا سبيل إلى القول إذن بأن للعرب فصيحا وعامي إلا بعد فشو هذا الفساد العربي في منطقتهم منذ القرن الخامس، أما ما وراء ذلك في بادية العرب فلحن أو لغة لا أكثر.[1]

- **بدايات ظهور العامية:**

ظلت العامية تساكن الفصحى، في العالم العربي ردحا من الزمن ليس بالقصير، متغيرة متطورة من جيل إلى جيل، ومن إقليم إلى إقليم وظلت، طوال هذا الزمن، رغم سعة انتشارها، موضع ذم من كتاب الفصحى وأدباءها ثم وجدناها تتحول، فجأة إلى دعوة وقضية "إيديولوجية"، في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، على أيدي جوقة ومن المستشرقين الذين راحوا يبشرون بها، ويصطنعون لها الفضائل والمزايا ، ولم يصعب عليهم أن يستلحقوا قلة من مثقفي العرب المستغربين، وقد بدأت الدعوة إلى العاصمة سنة 1980م عندما نشر المستشرق الألماني ولهم سبيتا(Wilhelm Spita) (1818-1883م) الذي كان مدير دار الكتب المصرية، كتابه المسمى "قواعد اللغة العامية في مصر"، وقد رأى سبيتا في كتابه هذا أن اللغة الفصحى لغة صعبة نقعد بالأمة العربية عن التطور والتقدم الحضاري، وطالب بأن تكون العامية لغة التعليم، وبخاصة للمبتدئين وافتقد ما سماه "طريقة الكتابة العقيمة بحروف الهجاء المعقدة"، وحاول طمأنة جمهور المسلمين بأن لغة الصلاة والعبادات الدينية الأخرى ستظل كما هي في كل مكان.

وفي سنة 1981م دعا يعقوب صروف (1852-1927م) صاحب مجلة "المقتطف" إلى استبدال العامية بالفصحى[2]، في كتابه العلوم، مدعيا أن الاختلاف بين لغة النطق ولغة الكتابة هو علة تأخرنا، ودعا رجال الفكر إلى بحث هذا الاقتراح ومناقشته.[3]

وفي سنة 1980م نشر المستشرق الألماني كارل قولرز (K.Vollers) (1857-1909م) كتابه "اللهجة العامية الحديثة في مصر" مؤكدا فيه أفكار سبيتا وآراءه.

---

[1]- مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1، ص(198-199).

[2]- إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، مكتبة العروبة للكتب و الروايات، ط1، 1982م، ص146.

[3]- بكر ابو زيد عبد الله، اللغة العربية والنجاح، مجلة المقتطف، العدد 2، القاهرة، 1981م، ص(352-354).

وفي سنة 1983م، ألقى مهندس الري الإنكليزي وليم ولكوكلس William Willcoks (1852-1932) محاضرة في نادي الأزبكية في مصر، بعنوان "لم توجد قوة الاختراع لدى المصريين الآن" خلاصتها أن عدم وجود هذه القوة إنما هو استخدام المصريين اللغة العربية الفصحى في الكتابة والقراءة ودعا إلى بند هذه اللغة لصعوبتها وإلى استخدام اللغة العامية في الكتابة الأدبية. وقال "وما أوقفني هذا الموقف إلى حي لخدمة الإنسانية، ورغبتي في انتشار المعارف، وما أجده في نفسي من الميل إليكم".[1]

وفي سنة 1901م، ألف القاضي الإنكليزي في مصر سلدن ولمور (J Seldo Willmore) كتابا بعنوان "العربية المحكية في مصر" دعا فيه إلى الاقتصار على العامية أداة للكتابة والحديث.[2] وقال: "من الحكمة أن ندع جانبا كل حكم خاطئ وجه إلى العامية، وأن نقبلها على أنها اللغة الوحيدة للبلاد، على الأقل في الأغراض المدنية التي ليست لها صبغة دينية".[3]

وفي سنة 1913م، كتب أحمد لطفي السيد (1870-1963م) سبع مقالات نشرها في صحيفة الجريدة[4]، رأى فيها أن الطريقة الوحيدة لإحياء اللغة العربية هي إحياء لغة الرأي العام من ناحية، وإرضاء لغة القرآن من ناحية أخرى، وذلك باستعمال العامية في الكتابة[5].

وفي سنة 1925م، نشر الأب مارون غصن(1881-1940م) كتاب "درس ومطالقة" وقد تنبأ فيه بموت العربية الفصحى، قياسا على ما عرفه من تاريخ اللغتين اليونانية واللاتينية، ودعا بالكتابة بالعامية والسورية.[6]

وفي سنة 1955م نشر الدكتور أنيس فريحة كتابه " نحو عربية ميسرة" ورأى فيه أن الفصحى لغة أجيال مضى عهدها، وأنها لذلك عاجزة أن تعبر عن الحياة، أما العامية فلغة حيث، تطورت نامية تتميز بصفات تجعل منها أداة طيعة للفهم والإفهام، وللتعبير عن دواخل النفوس.[7]

[1]- محمود محمد مصطفى، اللغة العربية الفصحى، مجلة الازهر، العدد 1، القاهرة، 1893م، ص(1-10).

[2]- نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر، دار الثقافة، الاسكندارية، (د.ط)، 1964م، ص109.

[3]- نذير محمد مكتبي، المرجع السابق، ص123.

[4]- الأعداد 23،20،6،30،27 من أبريل/ نيسان و1- 4 من مايو/ أيار، 1913م.

[5]- نفوسة زكريا سعيد، المرجع السابق، ص(136-143).

[6]- مارون غصن، درس ومطالقة، المكتبة الكاثوليكية للادباء اليسموميين، بيروت، (د.ط)، 1925م، ص185.

[7]- أنيس فريحة، المرجع السابق، ص117.

وتطور لائحة دعاة العامية أكثر إذا ما زيد عليها يعقوب صنوع، وسلامة موسى، والدكتور لويس عوض، ومحمد فريد بك أبو حديد، وأنطوان مطر، وسعيد عقل، وغيرهم ممن لم تخرج آرائهم في مسألة الدعوة إلى العامية، عن حدود الآراء التي لحضناها فيما سبق.

5- الدعوة إلى للعامية:

استغل خصوم العربية وأعداء الإسلام هذه الظاهرة اللغوية للدعوة إلى إحلال زمن العامية محل الفصحى. وقد بدأت في مصر زمن الاحتلال البريطاني. وكان أول من أطلق هذه الدعوة الدكتور الألماني ولهم سبيتا، حينما كان يعمل مديرا لدار الكتب المصرية عام 1980م/1298هـ. ولم يمض عام حتى تلقفت هذه الدعوة صحيفة(المقتطف) المعروفة بميولها الاستعمارية وأخذت تروج لها في أوساط قرائها فتصدى لها الحريصون على سلامة العربية وأسكتوها بدا لهم أن الوقت مازال مبكرا فهدأت المناقشة إلى حين لتعود ثانية إلى الظهور على يد إنكليزي هو السيد والف ويلمبور الذي كان أحد قضاة محكمة الاستئناف الأهلية في مصر حين ألف 1320هـ/1902م كتابا في الإنكليزية سماه(لغة القاهرة)، واقترح اتخاذ لغتها العامية لغة الأدب والعلم، كما اقترح أيضا كتابتها بالحروف اللاتينية، وتبعت المقتطف مجلة الهلال، ففتحت صفحاتها لدعاة العامية أمثال إسكندر المعلوف وأمين شميل.

ونشطت جولة ثالثة حوالي 1926م/1354هـ على يد السيد وليم ولكوكس الذي كان مهندسا إنجليزيا يعمل في مجال الري المصري في ظاهر الأمر، بينما كان-في حقيقة الأمر- من دهاة الاستعمار، إذ كان يظهر التودد والتسامح لعلماء الدين وأولي الأمر، حتى استطاع أن يتولى إصدار مجلة الأزهر لحقبة من الزمن، فاتخذها منبرا للدعوة إلى العامية، بل كان ينشر بعض المقالات فيها ويرصد المكافآت، ويدعوا إلى المباراة في الكتابة بها.

واستمر ينفث سمومه قائلا: "إن أهم عائق يمنع المصريين من الاختراع هو أنهم يؤلفون ويكتبون بالغة الفصحى، وأنهم لو ألفوا وكتبوا بالعامية لأعان ذلك على إيجاد ملكة الابتكار وتنميتها".

وكانت الدكتورة نفوسة سعيد من الذين رصدوا تاريخ الدعوة إلى العامية وأثارها في مصر فقالت: "إن مصدر الدعوة إلى العامية أجنبي، كما اتضح لي من دراسة الكتب الأجنبية التي تناولت اللهجة المصرية، وخاصة منها ما كان في أوائل عهد الاحتلال البريطاني في مصر". ثم عددت المحاولات التي قام بها الأجانب لإدخال العامية وإحلالها محل الفصحى.

ومن الشواهد التي تستعمل بها على صحة دعواها اهتمامهم الزائد باللهجات العربية العامية ومنها:

– إدخالهم تدريس اللهجات العامية في مدارسهم وجامعاتهم في إيطاليا والنمسا وروسيا وفرنسا وألمانيا والمجر وإنجلترا.

– اهتمامهم بالتأليف في اللهجات العامية، وهناك كتب ألفها أبناء العربية بإيعاز منهم مثل كتاب: أحسن النخب في معرفة لسان العرب، لمحمد عياد الطنطاوي، وكتاب: الرسالة التامة في معرفة كلام العامة، والمناهج في أحوال الكلام الدارج لميخائيل صباغ.

ويكاد يجمع الباحثون على أن الدعوة إلى العامية هي دعوة استعمارية، إنساق ورائها أناس، عن حسن نية عند بعضهم وسوء طوية عند بعضهم الآخر، وأن الأجانب هم الذين هيأوا لها المال والمنابر والعملاء، وعملوا ليل نهار في العلن وفي الخفاء. أما الدعوة إلى العامية في لبنان، فنترك الحديث عنها إلى أحد دعاتها–يوسف الخال– الذي يؤرخ لنا تاريخ الدعوة لها، بقوله: "لا يوجد حد فاصل، تاريخيا بين وعيي هذه الظاهرة، وبدء تحقيقي لها. لكنني أذكر أنني في مطلع 1362هـ/1943م هو كنت بعد طالبا في الجامعة الأمريكية، دعيت إلى إلقاء محاضرة حول النقد الأدبي، فلبيت وألقيت المحاضرة بالغة المحكية... أثناها عدد من الأدباء راحوا يدعون إلى الكتابة بالعامية، وعلى رأسهم سعيد عقل وبينهم رشدي ى المعلوف" ويرى الخال أن انتصار العرب على إسرائيل مرهون بانتقالهم من الفصحى إلى العامية المحكية.

واستمرت الدعوة إلى العامية في لبنان، واتخذ دعاتها اتجاهات مختلفة، منهم من أراد أن تكون العامية بديلا عن الفصحى، على أن اكتب بالحروف العربية المألوفة، ويمثل هذا الاتجاه الخوري مارون غصن ومنهم من أراد العامية وأن تكتب بحروف لاتينية مطورة، ويتمثل هذا الاتجاه بالشاعر سعيد عقل.

أما أنيس فريحة فقد اهتم بدراسة اللهجات المختلفة، وخلص إلى التسوية بين اللغة واللهجة، زاعما أن العامية لغة قائمة بذاتها، لها خصائصها التي تنفرد بها عن سواها.

وأخيرا خرجوا بمشروع " العربية الأساسية". فعقد من أجله مؤتمر في بلدة برمانا–لبنان من 14–16 حزيران 1393هـ/1973م، والذي دعا إليه المركز التربوي للبحوث والإنماء، واستضافت المدعوين مؤسسة فورد الأمريكية، وقد رد الدكتور عمر فروخ على المشروع ولخص أهدافه ثم قال: "إننا إذا تفطنا لمدلول الكلام في متن المشروع وقارناه بالمناقشات التي دارت، رأينا أن الاهتمام الأول بالمشروع، وفي جانبه العملي، منصب على اللغة العامية وحدها، وينقل عن أحد القائمين على

المشروع قوله: "نحن الآن لا تهمنا التراكيب في اللغة الفصحى، المهم عندنا الآن اللغة الحالية". أي اللغة الدارجة على ألسنة الأطفال.

وفي توضيح لهذا المشروع يقول الدكتور فروخ: إن العربية الأساسية تعبير يدور على أن في كل لغة قسمين من الكلمات والتعابير، قسما يكثر وروده في الكتابة والتخاطب، ثم قسما قد قل وروده في الكتابة والتخاطب في عصر من العصور أو بطل مرة واحدة. ويضيف قائلا: "هذا المدرك باسمه الجديد العربية الأساسية جاء من الغرب وأخذ به نفر من العرب"، وذلك أمر يفيد إذا اقتصر على الجوانب السليمة لأنه في الحقيقة (تعداد إحصائي) للكلمات والتعابير لمعرفة تواتر بعضها بالإضافة إلى بعض.

وهنا أود أن أشير إلى أن تواتر الكلمة أكثر من سواها على ألسنة الأطفال لا يجوز أن يندرج في واقع حالنا، فالغزو الثقافي والفكري وما تبعه من غزو علمي وحضاري ترك آثارا خطيرة على حياتنا في أنحائها المختلفة، كما غرب الكثير من ألفاظ لغتنا الإسلامية وأحيانا الكثير من ألفاظها الجاهلية أو المنتمية للحضارة الغربية المعاصرة، لذلك لا يجوز أن يكون (التعداد الإحصائي الرياضي) هو الفيصل في اختيار مفردات كتب الأطفال وتراكيبها، فهنا كعوامل هامة أخرى ينبغي أن يلتفت إليها، ويأتي في مقدمتها أن تكون محققة للأهداف التربوية الثقافية لترسيخها في أذهان هؤلاء الأطفال في هذه المرحلة الحساسة في حياتهم.

إن الدعوة إلى العامية لم تستنفذ أغراضها بعد، ولم يحقق دعاتها الأهداف التي يسعون للوصول إليها، ونظرا لخطورة هذا الأمر، كان علينا، وعلى جميع العاملين في حقل تدريس اللغة العربية تبيان مخاطرها وإدراك مراميها القريبة والبعيدة. ولا يجوز أن نهون من أمرها، كما فعل الدكتور شوقي ضيف حين رأى –متفائلا– أن معركة العامية مع الفصحى هي معركة خاسرة، وأن الفصحى قد سلبتها جمهورها القارئ وذلك لأن دعاة العامية لم يلقوا أسلحتهم بعد، بل أخذوا يتفننون في عرض الوسائل والأساليب التي تحقق أغراضهم. إنهم يريدون للعربية ما حصل للغة اللاتينية، حيث تحولت لهجات الشعوب المتكلمة بها إلى لغات جديدة، عاشت على أنقاظ اللغة الأم.

لقد تصدى عدد من الباحثين لدعاة العامية وردوا على من أعمهم انبرى عبد العزيز جاويش لهم في مصر فقال: "إن لغة القطر المصري ليست إلا لغة عربية دخلها بعض التحريف والدخيل، وأن أكثر ما يظن أنه مناف للعربية هو من العربية"، وأنه إذا لم يوافق لصحة قريش الفصحى، فإنما ربما يوافق لهجة بعض القبائل الأخرى، وأورد الكثير من الأمثلة على ذلك–أما الشيخ أحمد رضا فقد كان

أكثر تحديدا ووضوحا، حين وضع كتابا قيما سماه: "رد العامي على الفصيح" يكفي أن يتصفحه القارئ ليتأكد أن العامية هي الفصحى، مع ما طرأ عليها من تحريف وإقحام وإبدال.

ولا شك أن نشر التعليم الإلزامي في مرحلتيه: الابتدائية والمتوسطة، وتحسين أساليب التدريس باختيار المدرسين الصالحين وتدريبهم، وتعريب العلوم في جميع مراحل التعليم، وإسهام وسائل الإعلام المسموعة والمكتوبة والمرئية بدورها في هذا السبيل، كفيل بتفصيح العامية وتيسير الفصحى، وردم الهوة القائمة بينهما، ثم إن النهضة الثقافية الفكرية الشاملة قادرة على استيعاب هذه المشكلة فالأمر كما ذكر زيدان حنى قال: "إن اللغة في كل أين وآن تتبع عقول الناطقين بها ارتقاءا وانحطاطا"، علما أن الفجوة بين الفصحى والعامية المتداولة، ليست إلى الحد الذي يصوره خصوم الفصحى.

فهذا الدكتور محمد رضوان يقوم بدراسة منهجية للغة الأطفال، ومن خلال هذا البحث أثبت أن من بين 372 كلمة الأكثر شيوعا في حديث الأطفال، هناك: 193 كلمة مشتركة مع الفصحى، أي أنها تتفق اتفاقا كاملا في النطق، وأن هناك 79 كلمة لا تختلف عن الفصحى في النطق إلا بتغيير واحد في أحد أصوات الكلمة، وأن بقية الكلمات تفترق في نظائرها في الفصحى بتغيير بين اثنين ويخلص إلى أن نسبة الالتقاء بين العامية والفصحى تصل إلى 81%.

هذا في لغة الأطفال فحسب، فهل يصح بعد هذا أن يتحدث عاقل عن وجود لغتين اثنين في لغة واحدة؟

وهناك باحث آخر تتبع موضوع اللهجات العربية وخرج بنقاط مهمة، منها:

– إن اللهجات العامية تشوه ولا تخلق، فهي تأخذ ألفاظها من الفصحى أو من لغات أجنبية فتشوهها بإبدال حروفها أو تغيير بعض أصواتها والإخلال بإعرابها.

– واللهجات العامية لا تصلح للكتابة، إذ ليس لها قواعد تضبطها عند الكتابة، فهناك: المد والإمالة، والتخفيف، والترقيق، والحذف...إلخ.

– إن اللهجة العامية لا تستطيع التعبير إلا عن المعاني الساذجة العامة، فهي فقيرة بعدد مفرداتها وتراكيبها وجمالها، وأساليب البلاغة فيها.

وإذا كان هؤلاء الخصوم أكثر إصغاء للباحثين الإفرنج، فهذا المستشرق "جاك بيرك" يقول: "ليست اللهجات العامية باللغات الأصلية، فهي تحريف عن الفصحى وتشويه لها، ولن تقوى هذه اللهجات الهزيلة على اقتحام أسوار التراث العربي المنيع الأصيل".

ولا ننسى أن الانتقال من الفصحى إلى العامية معناه انقطاع الصلة بيننا بين إسلامنا المتمثل بكتاب الله وسنة رسوله، وفقه العلماء واجتهاد المجتهدين، بدءا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين والسلف الصالح، ثم قطع الصلة أيضا بتراث أمتنا الفكري والأدبي واللغوي، علما أن هؤلاء المتفرنجين ما كان لهم أن يستمتعوا بنتاجنا العلمي والتكنولوجي والفلسفي لولا العربية الفصحى التي نقلت لهم فلسفة اليونان والهند وعلومهم، كما نقلت إليهم ما أنتجه العلماء المسلمون أمثال الكندي وابن الهيثم والخوارزمي والبيروني والرازي وابن سينا في علوم الرياضيات والكيمياء والطب والفلك والفلسفة وغيرها، والتي كانت مصادر معارفهم وأمهات مراجعهم في جامعات أوروبا حتى الأمس القريب أما الجانب السياسي فلا يقل خطورة عن الجوانب السلبية الأخرى، إذ أن الانتقال من الفصحى إلى العامية معناه فك العرب بين الناطقين بهذه اللغة، بحيث نحتاج إلى تعلم هذه اللهجات المتعددة لنتمكن من التفاهم فيما بيننا، فهناك فروقات واضحة بين متكلمي العامية الواحدة أنفسهم ليس بين بلد وآخر، بل بين أبناء الإقليم الواحد، وأحيانا بين أحياء المدينة الواحدة، ولا نغالي إذا قلنا بين الأخوة في البيت الواحد، وذلك نتيجة التفاوت الثقافي والمعرفي بينهم. إذن فعامية أي قطر نختار لتحل محل الفصحى؟.

في حين نجد جميع العرب يستطيعون التفاهم بالفصحى، ولا أعني- كما يطيب لهؤلاء الخصوم أن يقولوا- العودة إلى لغة الشنفري، وتأبط شرا. فلغة أولئك القوم تمثل بيئة معينة في أحول خاصة بهم وإنما أعني اللغة التي هذبها الإسلام. فنحن حين نقرأ خطبة للرسول صلى الله عليه وسلم أو لأحد الخلفاء الراشدين، أو نراجع كتابا خط قبل بضعة عشر قرنا، لا نجد اختلافا يذكر عن العربية الفصحى المعاصرة، وتدليلا على صدق هذا المقال، سأقدم للقارئ نماذج لتلك العربية التي نتمسك بها ونحرص عليها.

خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم الأولى في الإسلام.

قال بعد أن حمد الله وأثنى عليه: "إن الرائد لا يكذب أصله، والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم، ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم، ولله الذي لا إلاه إلا هو".[1]

[1]- نايف محمد معروف، المرجع السابق، ص57-65.

- **أسباب ظهور اللهجات:**

يرجع السبب الرئيسي في تفرع اللغة الواحدة إلى لهجات إلى انتشار اللغة في مناطق مختلفة واسعة واستخدامها لدى جماعات كثيرة العدد وطوائف مختلفة من الناس ظن وهذا يتيح الفرص لظهور عوامل أخرى تؤدي إلى التفرع، حيث تختلف اللغات الإنسانية في مبلغ انتشارها اختلافا كبيرا. فمنها ما تتاح لها فرص مواتية فتنشر في مناطق واسعة من الأرض، ويتكلم بها عدد كبير من الأمم الإنسانية ويكون لذلك أسباب:

1- اشتباك اللغة في صراع مع لغة أخرى، وتقضي نواميس الصراع اللغوي أن يكتب لها النصر فتحتل مناطق اللغة المقهورة، فيتسع بذلك مدى انتشارها كما حدث للاتينية التي تغلبت على اللغات الأصلية لإيطاليا وإسبانيا وغيرها، فأصبحت لغة الحديث والكتابة، بعد أن كانت مقصورة على منطقة ضيقة وسط إيطاليا(اللاتيوم)(Latium) وكما حدث للعربية إذ تغلبت على كثير من اللغات السامية الأخرى، وعلى اللغات القبطية والبربرية والكوشيتية حتى بلغ الآن عدد الناطقين بها نحو مئة مليون ينتمون إلى نحو خمسة عشر أمة.[1]

2- أن ينتشر أفراد شعب ما، على أثر هجرة أو استعمار، في مناطق جديدة عن أوطانهم الأولى ويتكون من سلالاتهم بهذه المناطق أمم كثيرة السكان، فيتسع بذلك مدى انتشار اللغة وتعدد الجماعات والناطقين بها ويكثر أفرادها.

3- أن يتاح لجماعة ما أسباب مواتية للنمو الطبيعي في أوطانها الأصلية نفسها، فيأخذ عدد أفرادها وطوائفها في الزيادة المطردة، وتنشط حركة العمران في بلادها، فتكثر فيها القرى والمدن وتتعدد الأقاليم، فيتسع نطاق لغتها.

وتبعا لتأثير هذه العوامل على اللغة تتبين استحالة احتفاظ اللغة بوحدتها الأولى أمدا طويلا، فلا تنبت أن تتشعب إلى لهجات، وتسلك كل لهجة من هذه اللهجات منهجا يختلف عن أخواتها.[2]

[1]- علي عبد الواحد وافي، نشأة اللغة عند الإنسان والطفل، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، 2003م، ص(110-113) بتصرف.
[2]- المرجع نفسه، ص113-116 بتصرف.

ثانيا: ماهية اللغة الفصحى.

1- نشأة اللغة العربية الفصحى:

من النواحي المجهولة في تاريخ اللغة العربية نشأتها الأولى. فإننا لا نعرف عنها شيئا يقينيا. ولكن لا يكاد القرن السابع ميلادي ينتصف حتى يجد مؤرخ اللغة نفسه أمام لغة غنية بمفرداتها، تامة في إعرابها، متينة في تراكيبها، صقيلة في أساليبها التعبيرية، ناضجة في الصور التجريدية مما يدل على مبلغ من الرقي العقلي يتنافى والصورة المشوهة التي صور بها المؤرخون التابعون إعراب البادية.

تنتمي هذه اللغة الفتية يمدونه إلى الشعبة الجنوبية من اللغات السامية وهذه الشعبة الجنوبية تضم لهجات الحبشة واليمن والجزيرة العربية، وإذا اعتبرنا هذه اللهجات وحدة فإن العربية الفصحى، مدار دراستنا، تشكل الفرع الشمالي لهذه اللهجات، وليس لنا أن نستطرد في الكلام عن أو جه الخلاف بين العربية الشمالية(العربية الفصحى) وبين لهجات اليمن، فإن ذلك من اختصاص علماء اللغة بالمقابلة. إنما نريد أن نؤكد أن العربية الفصحى لغة مغايرة للغة العربية الجنوبية، وقد فطن إلى هذا الخلاف قدامى اللغويين، فكان أبو عمر بن العلاء يقول: "لسان حمير بلساننا ولا لغتهم بلغتنا". تعرف العربية الفصحى بلغة عدنان مقابلة لها بلغة قحطان، وتعرف كذلك بلغة مضر، وبفضل المتأخرون تسميتها بلغة قريش أو لغة مكة، وعندنا أن هذه التسمية الأخيرة ليست دقيقة ذلك لأن الدور الذي لعبته قريش أو مكة في تكوين هذه اللغة قبل الإسلام ثانوي لا يؤبه به، بدليل أن الشعر الذي اعتمده الصرفيون والنحويون عند استنباط قواعد اللغة وأحكامها، وأكثر ما اعتمدوه الشعر الجاهلي-كان شعرا نجديا حجازيا- ولا ينكر اللغويون القدامى أن جل ما أخذوه كان عن الإعراب لا عن أهل المدن، وتحقيقا عن قيس وتميم وأسد، غير أن نسبة الفصحى إلى قريش ومكة إسلامية وذلك لما اكتسبت قريش ومكة من مكانة دينية سياسية سامية، ومهما يكن من أمر هذه الأسماء التي عرفت وتعرف به هذه اللغة عدنانية، مضرية، قريشية، مكية، حجازية، فإن دلالتها واحدة هي هذه اللغة التي انحدرت إلينا والتي نعرفها نحن بالعربية الفصحى مقابلة بالعربية المحكية العامية والتي هي محور هذه الدراسة.

تاريخ هذه اللغة يثير مشاكل لغوية تاريخية عديدة، أين نشأت؟ هل كانت لغة تخاطب، وأي قوم كانوا يتخاطبون بها؟ أم كانت لغة الشعر والأدب والدين؟ ماذا نعرف عنها قبل أن دونا بها القرآن

وقبل أن تجمع النتف الباقية من أدب الجاهلية؟ هل يعقل أن تكون وليدة ليلة وضحاها أم ورائها تاريخ مديد غامض؟

أسئلة تصعب الإجابة عنها إجابة علمية دقيقة لندرة المصادر والوثائق السابقة لعصر التدوين، فلا يبقى لدى المؤرخ إلا أن يعتمد اللغة كما انحدرت إلينا منذ القرن السابع ميلادي. ولكن لا يصح اعتماد اللغة كما تحدرت إلينا مدونة مصدرا لدراسة اللغة في عصورها السابقة. ذلك لأن الذين استنبطوا قواعدها وضبطوا أحكامها اعتمدوا الشعر الجاهلي أولا ثم القرآن الكريم مادة لغوية، ومتى كان الشعر ولغة الأدب والدين مرآة تعكس لغة الناس في معايشهم ومكاسبهم؟ الشعر وصناعة الأدب خلق فني أما لغة الناس فنتيجة تطور طبيعي بعيد عن الصنعة والزخرف وكذلك لا يصح اعتماد المادة اللغوية التي عثر عليها على الحجارة والأنصبة في الحجاز وفي شمالي الجزيرة العربية وأطرافها مما يلي بلاد الأراميين فإنها لغة على كثير من الركاكة والرطانة العجمة، حتى أن أستاذنا الألماني، أنو لثمان، الذي حل رموز النقش الثمودية والصفوية كما يشعر أنها ليست عربية. ولم نشعر نحن طلبته الذين درسنا هذه النقوش عليه، أنها عربية، وإن كنت في شك من ذلك فما عليك إلا أن تقرأ النقش الذي وجد في النمارة، وهي قصر للروم من أعمال صوران، ويعرف بنقش إمرئ القيس أحد ملوك الحيرة، فإنك ستجد لنفسك أنه لا يمكن أن تكون لغة هذه النقوش ذات صلة بلغتنا العربية الفصحى المعربة؟ لغة، هذا مبلغ رقيها، ولا تترك لنا أثرا أدبيا جاهليا تنفذ منه إلى أعوار الماضي البعيد؟

وعليه ستترك الناحية التاريخية جانبا إلى أن تتوفر الوثائق الكتابية السابقة لعصر التدوين، وإلى أن تدرس اللهجات العربية التي أشار إليها اللغويون والتي أبقت المصادر العربية نتف منها (كما فعل الجاحظ مثلا) وسنحصر همنا بدرس المشكلة اللغوية من نواحيها الاجتماعية الفكرية التربوية ولكن يحسن بنا قبل الاسترسال في البحث أن نأتي على ذكر بعض ما امتازت به العربية من صفات أهلتها أن تكون لغة علم وفلسفة إلى جانب كونها لغة دين وشعر وهي ليست صفات متلازمة للعربية بل هي مميزات لغوية عامة تتصف بها أكثر اللغات الراقية.[1]

[1]- أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط1، 1989م، ص116.

وتتصف اللغة المشتركة(الفصحى) بمعالم خاصة تميزها عن شقيقاتها اللهجات الأخرى التي سبق أن اتصلت بها وتفاعلت معها في تكوين هذا المزيج المنسجم، ويتفق المحدثون على أن أهم تلك الخصائص المميزة للغة المشتركة(الفصحى) يمكن حصرها في صفتين:

– أنها مستوى لغوي أرقى من لهجات الخطاب في غالب الأحوال أي أنها فوق مستوى العامة فلا يصطنعونها في شؤون حياتهم اليومية وهم يتخذونها مقياس لحسن القول وإجادة الكلام، فإذا سمعوا متكلماتها رفعوه فوق مستوى ثقافتهم.

– أن اللغة المشتركة(الفصحى) وإن تأسست في بدء نشأتها على لهجة معينة وإلتمست بعض صفات اللهجات الأخرى وهضمته، إلا أنها فقد فقدتها مع الزمن كل المنابع التي استمدت منها عناصرها، وأصبح لها كيان مستقل، فلم تعد تنتسب إلى بيئة محلية تعيدها، بل يشعر كل من السامع والمتكلم أنها أصبحت ملك الجميع لا يدعيها قوم لأنفسهم، وهي لذلك تكتسب الاحترام من الناس جميعا.[1]

- **تعريف الفصحى:**

أ– لغة: معنى الفصيح: "قال الراغب" في مفرداته "الفصح: خلوص الشيء مما يشوبه وأصله فيه اللبن، يقال: فصح اللبن وأفصح فهو فصيح ومفصح إذا تعرى من الرغوة قال الشاعر: وتحت الرغوة اللبن الفصيح. ومنه استعير فصح الرجل: جادت لغته وأفصح تكلم بالعربية"[2].

وفي طبقات النحويين "لأبي بكر الزبيدي" قال "أبو نوفل" : "سمعت أبي يقول لأبي عمرو بن العلاء: أخبرني عما وضعت مما سميت عربية أيدخل فيه كلام العرب كله؟ فقال: لا. فقلت: كيف تضع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة؟ فقال: أجمل على الأكثر، وأسمي ما خالفني لغات والمفهوم من كلام ثعلب أو مدار الفصاحة في الكلمة على أكثر استعمال العرب لها".[3]

وقال" الجار بردي" في "شرح الشافية" :"فإن قلت: ما يقصد بالفصيح؟ وبأي شيء يعلم أنه فصيح وغيره فصيح؟ قلت : أن يكون اللفظ على ألسنة الفصحاء الموثوق بعربيتهم أدور، واستعمالهم له أكثر".[4]

[1]– إبراهيم أنيس، مستقبل اللغة العربية المشتركة، معهد الدراسات العربية، مصر، (د.ط)، 1960م،ص(5-6).

[2]– عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، (د.ط)، 1987م، ص184.

[3]– المصدر نفسه، ص184-185.

[4]– المصدر نفسه، ص187.

وقال ابن خالوية في "شرح الفصيح" "قد أجمع الناس جميعا أن اللغة إذا وردت في القرآن الكريم فهي أفصح مما في غير القرآن، لا خلاف في ذلك".[1]

و"فصيح، فصح، فصحا الصبح فلانا: بأن له وغليه ضوؤه، فصح: فصاحة: جادت لغته وحسن منطلقة فهو فصيح.

والأعجمي: تكلم بالعربية وفهم منه، أفصح: تكلم بفصاحة، صار فصيحا بين مراده الفصاحة (فص): البيان وخلوص الكلام من التعقيد، ويوصف بها المتكلم والكلمة والكلام فيقال: رجل فصيح وكلمة فصيحة وكلام فصيح".[2]

"والفصاحة في اللغة عبارة عن الإبانة والظهور".[3]

ب- إصطلاحا: جعل الدكتور عبد الرحمان حاج صالح للفظ الفصاحة مدلولين وهما:

"صفة من يرتضي لغته كل من ينطق بنفس اللغة على أصلها بدون تغيير. وبالتالي عدم وجود لأي شيء في لغته لا ينتمي إلى لغته هؤلاء الناطقين"[4]، وعلامة هذين المدلولين يخصان السلامة اللغوية.

كما أنه يوجد في كل اللغات نموذجا راقيا للعلم والأدب وسائر الشؤون الجادة في الدولة، هذا النموذج هو اللغة الفصحى أو اللغة المشتركة التي تجمع بين أفراد تلك الدولة على اختلاف أطيافهم ويقابل هذا النموذج صور لغوية كثيرة ومتنوعة بتنوع أقاليم كل دولة وهي التي نسميها اللهجات فالفصحى هي اللغة الرسمية للدولة، وغالب ما تكون هذه اللغة لغة تعليم ولغة التأليف ووسيلة التعامل الثقافي أيضا.

ونقصد بالغة العربية ذلك المستوى التعبيري الذي تنتظم فيه خواص اللغة العربية الأساسية، فتراعي فيها قواعد الإعراب في جملها وتسير على قوانين نظم الكلام العربي، فقد عزفت الفصحى مكتملة البنية في نصوص الأدب الجاهلي، وازدادت قوتها بعدما ارتبطت بالقرآن فعبرت عن حضارة الإسلام أدق تعبير، وكانت لسانه الرسمي الذي يحمي التشريع والتعليم، وقديما كانت كل قبيلة تتحدث بلغتها فيما بينها، في بيوتها وأدويتها وفي أسواقها ومراعيها، فإذا اجتمعت القبائل في الموسم أو في عكاظ وحد الجميع كلامه في لغة "سواء" لغة مشتركة منتقاة عن العناصر المحلية المستكرهة واختاروا أفضل ما

[1]- المصدر السابق، ص213.

[2]- لويس معروف، المنجد في اللغة والإعلام، دار دمشق للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 1984م، ص 584.

[3]- الشريف علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1983م، ص208.

[4]- عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موقع للنشر، الجزائر، 2007م، ص36.

لديهم من كلام، وهي اللغة التي ينظم بها الشعر وتلقى بها الخطب والمواعظ وتضرب بها الأمثال، لغة واحدة موحدة توحد العرب وهي لغة القرآن الكريم.[1]

أي أن الفصحى هي اللغة التي نزل بها القرآن الكريم وهي اللغة الرسمية للكتابة والمخاطبة والمراسلة والتفاهم والتعامل بين العرب بمختلف لهجاتهم ومواطنهم وأماكن سكناهم وبما يتفاهمون ويتعارفون وينطقون.

2- مميزات اللغة العربية الفصحى:

تعد اللغة العربية أهم مقومات الثقافة العربية الإسلامية، وهي أكثر اللغات الإنسانية ارتباطا بعقيدة الأمة، وهويتها، وشخصيتها، لذلك صمدت أكثر من سبعة عشر قرنا سجلا أمنيا لحضارة أمتها، وازدهارها، وشاهدا على إبداع أبنائها، وهم يقودون ركب الحضارة التي سادت الأرض حوالي تسع قرون[2].

لذلك اتسمت بسمات متعددة في حروفها، ومفرداتها، وإعرابها، ودقة تعبيرها، وإيجازها، وهذه السمات جعلت أرنست رينان يقول فيها: من أغرب المدهشات أن تنبت تلك اللغة القومية، وتصل إلى درجة الكمال وسط الصحاري، عن أمة من الرحل، تلك اللغة التي فاقت أخواتها بكثرة مفرداتها ودقة معانيها وحسن نظام مبانيها.

أما الأمريكي (وليم ورل) فيقول: إن اللغة العربية من اللين، والمرونة، ما يمكنها من التكيف وفق مقتضيات هذا العصر، وهي لم تتقهقر فيما مضى أمام أية لغة أخرى، من اللغات التي احتكت بها. وستحافظ على كيانها في المستقبل، كما حافظت عليه في الماضي.

ويرى المستشرق الإيطالي(جويدي) "إن اللغة العربية الشريفة أية للتعبير عن الأفكار، فحروفها تميزت بانفرادها بحروف لا توجد في اللغات الأخرى، كالضاد والظاء والعين والغين والحاء والطاء والقاف وبثبات الحروف العربية الأصلية، وبحركة البناء في الحرف الواحد بين المعنيين، وبالعلاقة بين الحرف والمعنى الذي يشير إليه.

أما مفرداتها فتميزت بالمعنى، والاتساع والتكاثر، والتوالد، وبمنطقيتها(منطقية في قوالبها)، ودقة تعبيرها، من حيث الدقة في الدلالة والإيجاز، ودقة التعبير في المعاني.[3]

---

[1]- فتحي جمعة، اللغة الباسلة، دار النصر للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2000م، ص133.

[2]- مدكور أحمد علي، التربية وثقافة التكنولوجيا، دار الفكر العربي، مصر، ط1، (د.ت)، ص182.

[3]- السيد محمود، طرائق تدريس اللغة العربية، دار الفكر العربي، دمشق،(د.ط)، 1988م، ص202.

لذلك قال الإيطاليون: إن لغة العرب تمتاز : بجمالها، وموسيقاها، والتفاضل بين اللغات يكون في كثرة إنتاجها الأدبي والفكري لا في عدد ألفاظها.

والعالم الألماني (فرينباغ) يشير إلى غنى اللغة العربية في قوله: ليست لغة العرب أغنى لغات العالم فحسب، بل الذين نبغوا في التأليف بها لا يمكن حصرهم، وإن اختلافنا عنهم في الزمان، والسجايا والأخلاق، أقام بيننا نحن الغرباء عن العربية، وبين ما ألفوه حجابا لا نتبين ما وراءه إلا بصعوبة.

أما الفرنسيون فيقولون عن العرب: "إن لغتهم تمتاز بالوضوح".[1]

كما أن للغة العربية مميزات عديدة نذكر منها:

1- سعة اللغة العربية مفرداتها وفيرة، وكل مرادف ذو دلالة جديدة، فالأسد له أسماء كثيرة لكل واحد منها معنى يختص به، وللناقة كذلك، وما من حيوان أو جماد أو نبات إلا وله الكثير من الأسماء والصفات، مما يدل على غنى هذه اللغة الرائعة، ولأنواع الحزن والترح والأسى معان متعددة ولليوم الآخر- على سبيل المثال- أكثر من ثمانين إسما، عددها إبن قيم الجوزية رحمه الله في مدارج السالكين، لكل منها سبب ومعنى يختص به، وهذا ما لا نجده في أكثر اللغات الأخرى قال الإمام الشافعي-رحمه الله-لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير بني، ولكنه لا يذهب منه شيء على عامتها، حتى لا يكون موجودا فيها من يعرفه، والعلم به عند العرب كالعلم بالنسبة عند أهل الفقه لا نعلم رجلا جمع السنن فلم يذهب منها عليه شيء، فإذا جمع علم عامة أهل العلم بها آتى على السنن وإذا فرق علم كل واحد منهم ذهب عليه الشيء منها.[2]

وأكثر مواد اللغة العربية غير مستعملة، وكثير منه غير معروف، قال الكسائي: قد درس من كلام العرب كثير[3] وقال أبو عمر بن العلاء "ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقله ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثير[4] وذكر الزبيدي في مختصر العين أن عدة مستعمل الكلام كله ومهمله ستة آلاف وتسعة وخمسون ألف وأربعمائة(6059400) والمستعمل منها خمسة آلاف وستمائة وعشرون(5620) والمهمل ستة آلاف ألف وستمائة ألف وثلاثة وتسعون(6600093)

[1]- حسين محمود كامل، اللغة العربية المعاصرة، ص 58.

[2]- الرسالة، ج1، ص 42.

[3]- إبن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ج2، ط1، 1996م، ص593.

[4]- ابن عادل، تفسير اللباب، دار الكتب العلمية، لبنان، ج7، (د.ط)، (د.ت)، ص186.

وذكر عبد الغفور عطار أن المستعمل في العربية في عصرنا الحاضر لا يكاد يزيد على عشرة آلاف مادة، مع أن "الصحاح" للجوهري يضم أربعين ألف مادة و"القاموس" ستين ألف مادة والتكملة ستين ألف مادة و"اللسان" ثمانين ألف وأربعمائة و"التاج" عشرين ومائة ألف مادة حتى قال السيوطي وأين سائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟[1]

ومع أن المستعمل من مواد اللغة العربية ليس إلا أقل القليل منها فإنها لم تضف عن حاجة الإنسان وتجاربه، وخواطره وعلومه، وفنونه وآدابه بل وسعت روافد الحضارة والعلوم غير المعروفة عند العرب في أزهى العصور الإسلامية، حتى صار لسان حال لغتنا الحبيبة.

2- ولغتنا قائمة على جذور متناسقة لا نجدها في اللغات الأخرى قاطب فالفعل الماضي ذهب ومضارعه يذهب وأمره اذهب من جذر واحد، أما تمثيله في الإنجليزية فماضيه (Went) ومضارعه وأمره(go) كلمتان مختلفتان كليا وخذ مثلا الفعل"cut" بمعنى قطع يقطع، اقطع، نجده رسما واحدا في جميع الأزمنة الثلاثة كلها، وتضطر إلى وضعها في جمل كي تعرف الزمن لكل منها بينما زمن الفعل في الحروف العربية.

3- كما أن الأفعال المتقاربة الجذور في العربية معاني متشابهة لما ترى أمثالها في اللغات الأخرى فالفعل (قطع) إذا بدل الحرف الأخير فقط قيل: قط، قطع، قطف، قطش، تجد فيها اشتراك في قضم الشيء إلى قطع، وفي الفعل(سما) المفتوح العين ثلاثة حروف كذلك بدل الحرف الأخير وقل مثلا: سمحن سمر، سمح، سمك، سمق، سمط تجد اشتراكها في العلو، وهكذا.

4- يذكر الدكتور عبد الله الدخان المهتم بتعليم اللغة العربية للناشئة منذ الصغر أشياء عجيبة في لغتنا الحبيبة فيقول: «إن كثيرا من الكلمات الإنجليزية مأخوذة من اللغة العربية ومن ذلك (الباكلوريوس) أو كما يقال: باكلوريا في بلاد الشام لشهادة الثانوية بأن أصلها جاء من العربية حيث أن العلماء من المحدثين ومقرئي القرآن كانوا إذا أجازوا الطالب كبتوا له في الإجازة: أجزناكم بحق الرواية) فأخذوها من ثم حرفت:(بحق الرواية، بهك الرواية، بك رواية، باكلوريا) وقد ذكر أمثلة عديدة من هذا القبيل».

5- وقام مؤلف كتاب "اللغة العربية أصل اللغات كلها" في القسم الثاني من الكتاب بدراسة معجمية مقارنة أجراها الباحث على نحو خمسمائة كلمة إنجليزية متسلسلة حسب الترتيب الهجائي في قاموس المورد، بدءا من أول كلمة في حرفA وهي (Aard) التي أصلها العربي(أرض) وهكذا ستجد

[1]- السيوطي، المرجع السابق، ص 321.

العجب في هذه اللغة الأم ومن أمثلة ما جاء في المورد لفظ الجلالة (الله) صار لديهم (allah) وعباءة (aba) ولفظة (algerbra) مأخوذة من علم الجبر، حتى عفريت أصلها عربي فيكتبونها (afreet) وكلمات كثيرة كالفلاح (Fellah) والفلس (Fils) والقطن (cotoon) والحناء (henna) ومومياء (mummy) والزعفران (Saffran) والسبانخ (Spinach)...إلخ.

6- إن اللغة العربية تميز بين المذكر والمؤنث سواء في العدد أو غيره بعكس اللغات الأخرى، وتيسير العربية على عنصر المخالفة للتمييز بين المؤنث والمذكر في العدد وليس في هذا تعقيد مادام هناك نظام مطرد.

7- وقال الخفاشي في "سر الفصاحة" وقد خبرني أبو داود المطران-وهو عارف باللغتين العربية والسريانية- أنه إذا نقل الألفاظ الحسنة إلى السرياني، قبحت وخست وإذا نقل الكلام المختار من السرياني إلى العربي ازداد طلاوة وحسنا.[1]

وفي هذا دليل على ما تمتلكه اللغة العربية من طاقات هائلة ومؤهلات مطلقة صوتية وصرفية ومعجمية ونحوية وبلاغية ودلالية.

ومن الطريق ما ذكره محمد الخضر حسين قال: "كتب جون فرن قصة خيالية بناها على سياح يخترقون طبقات الكرة الأرضية حتى يصلوا أو يدنوا من وسطها ولما أرادوا العودة إلى ظاهر الأرض بدالهم هنالك أن يتركوا أثرا يدل على مبلغ رحلتهم فتفشوا على الصخر كتابة باللغة العربية ولما سئل جون فرن عن اختياره للغة العربية قال: إنها لغة المستقبل ولا شك أنه يموت غيرها وتبقى حية حتى يرفع القرآن نفسه وسنورد بعض ما قاله الغرب عن ميراث لغتنا:

1- قال المستشرقون المجري عبد الكريم إن في الإسلام سندا هاما للغة العربية أبقى على روعتها وخلودها فلم تنل منها الأجيال المتعاقبة على نقيض ما حدث للغات القديمة المماثلة كاللاتينية، حيث انزوت تماما بين جدران المعابد، ولقد كان الإسلام قوة تحويل جازفة أثرت في الشعوب التي اعتنقته حديثا، وكان أسلوب القرآن الكريم أثر عميق في خيال هذه الشعوب، فاقتبست آلافا من الكلمات العربية، ازدادت بها لغاتها الأصلية، فازدادت قوة ونماء والعنصر الثاني الذي أبقى على اللغة العربية هو مرونتها التي لا تبارى، فالألماني المعاصر مثلا لا يستطيع أن يفهم كلمة واحدة من اللهجة التي كان

[1]- الخفاشي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط1، 1982م، ص17.

يتحدث بها أجداده منذ ألف سنة بينما العرب المحدثون يستطيعون فهم آداب لغتهم التي كتبت في الجاهلية قبل الإسلام.

2- وقال المستشرق الألماني يوهان فك إن العربية الفصحى لتدين حتى يومنا هذا بمركزها العالمي أساسيا لهذه الحقيقة التالية، وهي أنها قد قامت في جميع البلدان العربية والإسلامية رمزا لغويا لوحدة عالم الإسلام في الثقافة والمدنية، وقد برهن جبروت التراث العربي الخالد على أنه أقوى من كل محاولة يقصد بها زحزحة العربية الفصحى عن مقامها المسيطر، وإذا صدقت البوادر ولم تخطئ الدلائل فستحفظ العربية بهذا المقام العتيد من حيث مبالغة المدنية الإسلامية.

3- وقال جوستاف جرونيباوم عندما أوحى الله رسالته إلى رسوله محمد صلى الله عليه وسلم أنزلها قرآنا عربيا، والله يقول لنبيه "فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وننذر به قوما لدا" مريم 37، وما من لغة نستطيع أن تطاول اللغة العربية في شرفها.

فهي الوسيلة التي اختيرت لتحصل رسالة الله النهائية، وليست منزلتها الروحية هي وحدها التي تسمو بها على ما أودع الله في سائر اللغات من قوة وبيان، أما السعة فالأمر فيها واضح، ومن تتبع جميع اللغات لا يجد فيها على ما سمعته لغة تضاهي اللغة العربية، ويضاف جمال الصوت إلى ثروتها المدهشة في المترادفات، وتزين الدقة ووجازة التعبير لغة العرب، وتمتاز العربية بما ليس له ضريب من اليسر في استعمال المجاز، وإن ما بها من كتابات ومجازات واستعارات ليرفعها كثيرا فوق كل لغة بشرية أخرى، وللغة خصائص جمة في الأسلوب والنحو وليس من المستطاع أن يكتشف له نظائر في أي لغة أخرى، وهي مع هذه السعة والكثرة أخصر اللغات في إيصال المعاني، وفي النقل إليها، يبين ذلك أن الصورة العربية لأي مثل أجنبي أقصر في جميع الحالات.[1]

4-وقال المستشرق الألماني أوجست فيش وهو يتكلم عن العرب والمعاجم وإذا استثنينا الصين فلا يوجد شعب أخر يحق له الفخار بوفرة الكتب علوم لغته وبشعوره المبكر بحاجته إلى تنسيق مفرداتها بحسب أصول وقواعد غير العرب.[2]

وقال هايوود: إن العرب في مجال المعجم يحتلون مكان المركز سواء في الزمان أو المكان بالنسبة للعالم القديم أو الحديث وبالنسبة للشرق أو الغرب.[3]

[1]- أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)،1982م، ص(301-302).

[2]- أوجست فيشر، مقدمة المعجم اللغوي التاريخي، دراسة تقويمية، المغرب، 2010م، ص6.

[3]- أنور الجندي، المرجع السابق، ص303.

5-وقال كارلو نلينو: اللغة العربية تفوق سائر اللغات رونقا وغنى ويعجز اللسان عن وصف محاسنها.

6- وقال فان ديك(الأمريكي): العربية أكثر اللغات الأرض امتيازا، وهذا الامتياز من وجهين الأول:من حيث ثروة معجمها والثاني: من حيث استيعاب آدابها.

7- وقال فيلا سبازا: اللغة العربية من أغنى لغات العالم بل هي أرقى من لغات أوروبا، لتضمنها كل أدوات التعبير في أصولها، في حين أن الفرنسية والإنجليزية والإيطالية وسواها قد تحدرت من لغات ميتة، ولا تزال حتى الآن تعالج رمم تلك اللغات لتأخذ من دمائها ما تحتاج إليه.[1]

8- كما يقول أحد الفلاسفة الغرب عن اللغة العربية معجزة اللغة العربية من بين لغات العالم أنها ليس لها طفولة وليس لها شيخوخة.[2]

3- خصائصها:

إن اللغة العربية مع ما فيها من صعوبة تتصل بطبيعتها في الكتابة وفي النطق إلا أنها ارتبطت بمقدسات الأمة العربية واستطاعت مع هذه المقدسات أن تعتبر آفاق الجزيرة العربية إلى دول شتى ومماليك عديدة وهي في انتقالها إلى تلك البلاد يحملها كتاب الله ودعوته ثم وهي تحمل كتاب الله ودعوته حصلت معها ما في نسيم الصحراء من رقة وعذوبة وما في صلابة الصخر من قوة ورصانة فهي حين تهبط واديا خضرا خصبا رقت أساليبها وعذبت ألفاظها وحين تعلق جبلا أو تنزل صحاري جزلت عباراتها وتضخمت ألفاظها فهي في الواقع لغة رقيقة خشنة سهلة صعبة جزلة يمكنها أن تعيش مع كل بيئة تنموا في كل مجتمع ولها من الخصائص ما يمكن أن توصف بما يلي:

1- قادرة على مواجهة التغيرات التي تصب المجتمع. فهي كوعاء يمكنها استيعاب كل هذه التغيرات والتعبير عن كل جديد من هذه التغيرات، ففيها الخشونة والرقة وفيها العذوبة والغلظة فهي قادرة على التأقلم وهي مرنة تستطيع أن تأخذ من اشتقاق الألفاظ التي يعطيها غنى وثروة ويمكنها من أن تشتق لكل جديد من التغيرات ألفاظا تلائمه.

[1]- رامز محيي الدين علي، لغتنا هويتنا، ديوان العرب، السعودية، (د.ط)،(د.ت)، ص12.

[2]- ارشيف منتدى الفصيح، اللغة العربية الفصحى، السعودية.

2- لها خاصية ترتبط بالمقدسات الدينية فهي التي حملت القرآن الكريم من الجزيرة إلى غيرها من الأقطار، وتنازلت عن اللغة هذه يعني تنازلنا عن الكتاب المقدس وتنتهي العلاقة بين المسلمين والعرب وهذا الكتاب المقدس، فهي اللغة المقدسة لها تقدير التقديس دون سائر اللغات لأن القرآن نزل بها.

3- هي اللغة التي تجمع الآمال وتعبر عن الآلام في المجتمع العربي كله، وهي أهم العناصر في إيجاد نوع من الوحدة في العادات والتقاليد إلى حد ما.

4- إن المجتمع العربي ينشد توثيق الروابط وترشيح العلاقة بين أبنائه ويتم ذلك عن طريق اللغة العربية وبها يمكن أن تتشابه الثقافة والتعليم.

وإذا ما عملت كل دولة أبناءها بلغتها الخاصة أدى ذلك إلى تمزيق اللغة العربية ولن يسهل التفاهم بين أبناء الأمة العربية. فحرصا على كونها لغة التعليم إنما هو مستمد من حفاظنا على الوحدة العربية فكريا وثقافيا إلى جانب القرآن الكريم.

5- توجد وحدة شعورية عاطفية بين الشعوب العربية، ولقد ظلت اللغة العربية في جوهرها عربية ولكن التغيرات جعلت طريقة التعبير بها مختلفة فتبلورت من حيث الفكرة والأسلوب مع العصر فهي تساير روح العصر.

اللغة العربية إذن تملك القدرة على أخذ ما يناسبها وترك ما لا يناسبها.

إن التمكن من اللغة العربية عملية نفسية لها قيمتها من غير شك، فالحاجز عنها قد لا يستطيع مجاراة العصر في ثقافته ولذلك تسوء حالته.

فأما القادر عليها والمتمكن عن التعبير بها عما يريد فستتمكن من الارتباط بعالم عصره، إن من أهم مسئوليات المعلم تمكين المتعلم من اللغة العربية والسيطرة عليها لأنها تعطي اطمئنانا نفسيا للمتعلم، فهي عملية أساسية في بناء شخصيته وربطه بمجتمعه وعالم عصره، واتجاهات أمته في آمالها ومشاركتها في آلامها[1]، وكذلك نذكر خصائص أخرى للغة العربية وهي كالآتي:

❖ **من الناحية التاريخية:** فإن اللغة العربية لها تاريخها الطويل والعميق، ومع ذلك تميل إلى الثبات نتيجة ارتباطها بالسماع، والذي يستلزم محاكاة العرب في كلامهم، وارتباطها بالوحي وترتيل القرآن الكريم.[2]

[1]- محمد صلاح الدين، تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية، كلية التربية جامعة عين شمس، (د.ط)، 2000م، ص 6.

[2]- صالح بلعيد، فقه اللغة العربية، دار همسه للنشر، القاهرة، (د.ط)، 2000م، ص67.

❖ **من الناحية الصوتية:** تمتاز أصواتها بصفات مميزة مثل الجهر والهمس والإطباق حيث أن أول ما يبدو من صفات الحروف العربية توزعا في أوسع مدرج صوتي عرفته اللغات، ذلك أن الحروف العربية تتوزع في بين الشفتين من جهة وأقصى الحلق من جهة أخرى".[1]

– كما تمتاز اللغة العربية بأصوات لا وجود لها في اللغات الأخرى مثل الظاد والضاء والطاء والذال.[2]

– ولعل أهم ميزة عرفتها اللغة العربية في مجال الأصوات مناسبة الحروف أو الأصوات للمعاني انطلاقا من القيمة التعبيرية الموجبة للحرف، حيث يذكر الدكتور صالح "إذا لم يعدهم من كل حرف له صوت، وإنما عناهم من صوت هذا الحرف أنه معبر عن غرض".[3]

– فقد لاحظ هذه الخاصية الصوتية قدماء اللغويين وأفردوا لها في كتبهم أبوابا وفصول كثيرة حيث عبر ابن جني عن ذلك في الخصائص ب تعاقب الألفاظ لتعاقب المعاني".[4]

– كما درسها المحدثون في مؤلفاتهم المختلفة حيث يقول د امبارك: فكل حرف منها يستغل ببيان خاص، مادام يستقل بإحداث صوت معين وكل حرف له ظل وإشعاع، إذا كان لكل حرف صدى وارتفاع".[5]

❖ **من ناحية الألفاظ والمفردات:** وأهم ما تمتاز به العربية أنها أوسع أخواتها السامية ثروة في أصول الكلمات والمفردات، فهي تشمل على جميع الأصول التي تشمل عليها أخواتها السامية أو على معظمها، وتزيد عليها بأصوات كثيرة احتفظت بها من اللسان السامي الأول.[6]

وقد كثرت الألفاظ والمفردات في اللغة العربية نتيجة لخاصيتين هما:

– الترادف : وهو أن يكون للشيء الواحد العديد من الأسماء، وهذه الخاصية مكنت اللغة العربية من استيعاب الكثير من المفردات حيث جمع للأسد خمس مئة إسما، وللثعبان مئة، وللعسل ثمانين وكذلك الشأن في الأوصاف.[7]

---

[1]– ابن جني، الخصائص، تح:محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2، (دت)، ص98.

[2]– الموقع الإلكتروني: (arlsadin) mkodos.com 28 فيفري1923، الساعة 21:20.

[3]– صيحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، (د.ط)، 1986، ص174 .

[4]– ابن جني، الخصائص، المصدر السابق، ص145.

[5]– محمد امبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983م، ص261.

[6]– المرجع نفسه، ص168.

[7]– السيوطي، المصدر السابق، ص408.

– **الاشتقاق**: ويعني بتوليد الألفاظ بعضها من بعض والاشتقاق أخذ صنيعة من أخرى مع اتفاقها معنى ومادة أصلية وهيئة تركيب ليدل بالثانية على معنى الأصل بزيادة مفيدة لأجلها اختلف حروف أو هيئة.[1]

وقد اكتسب هذه الخاصية اللغة العربية وفرة الأوزان والصيغ، حيث أنه لا توجد لغة تعددت فيها الصيغ كما تعددت في العربية، وقد أثبتت الدراسات عن جذور لسان العرب تسعة آلاف وسبع مئة و إثنان وثلاثون جذرا(9732) مقابل خمس مئة جذر تمتلكها اللغات الهندية الأوروبية.[2]

❖ **من ناحية الأسلوب**: كما تميزت اللغة العربية في قواعد الأسلوب بالمجاز وافتقال الكناية واستعمال الألفاظ والتراكيب في غيرها وضعت له، وقد كان لها الفضل الكبير في سمو الأساليب العربية وشدة تأثيرها على النفوس وقوة بلاغتها، وحسن بيانها ومرونة تعبيرها ومطابقتها لمقتضيات الأحوال".[3]

❖ **من ناحية الدلالة**: ولعل أبرز سمة في اللغة العربية قدرتها على التعبير على موجودات عصرها والعصور التي تليها بالرغم من أن الذات المتخصصة الباحث لم تسعى إلى ذلك كثيرا مثل ما هو مع بقية اللغات التي تجدد لغاتها مرات عديدة في خضم سنوات قليلة وذلك أما باللجوء إلى تغيير ألفاظ معاني سابقة أو بإضافة سوابق ولواحق للكلمات القديمة لأجل استحداث التعبير على دلالات جديدة، أما اللغة العربية تحمل بدور نمائها في داخلها "كالإعراب والنحت والاشتقاق والتعريب والتركيب..." وهذه خاصية كل لغة حية راقية.[4]

ومن الخصائص التي تتمتع بها اللغة العربية وكان لها أثر في نشوء اللغة العامية وهي ظاهرة القلب والإبدال[5].

وفي الأخير نقول أن للغة العربية خصائص كثيرة ولا يمكن أن نوردها كاملة، ولكن سوف نشير إلى أهم وأبرز خاصية للغة العربية وهي :

قدرتها على التواصل والإفهام والتأثير النفسي بين المتكلمين بها وقد تحققت للغة العربية هذه الخاصية بفضل كل الخصائص التي تم ذكرها سابقا.

[1]– صالح بلعيد، المرجع السابق، ص78.

[2]– محمد امبارك، المرجع السابق، ص 80.

[3]– علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة،، المرجع السابق، ص121.

[4]– أنيس فريحة، المرجع السابق، ص87.

[5]– أحمد عيسى بك، المحكم في أصول العامية، دار الاتفاق العربية، ط1، 2001م، ص2.

4- أهمية اللغة العربية:

يخفى على ذي لب ما للغة العربية من أهمية عظمى، في كونها لغة القرآن الكريم والسنة المطهرة، وكونها جزءا من ديننا، بل لا يمكن أن يقوم الإسلام إلا بها، ولا يصح يقرأ المسلم القرآن إلا بالعربية، وقراءة القرآن ركن من أركان الصلاة التي هي ركن من أركان الإسلام، وتزداد أهمية تعلم اللغة العربية بعد الناس عن الملكية والسليقة اللغوية السليمة، مما سبب ضعف الملكات في إدراك معاني الآيات الكريمات، مما جعل من الأداء اللغوية خير معين على فهم معاني القرآن الكريم والسنة المطهرة وقد نبه ابن خلدون على ذلك بقوله: فلما جاء الإسلام، وفارقوا الحجاز... وخالطوا العجم، تغيرت تلك الملكة بما ألقى إليها السمع من المخالفات التي للمشعرين من العجم، والسمع أبو الملكات اللسانية ففسدت بما ألقى إليها مما يغايرها لجنوحها إليه باعتبار السمع، وخشي أهل الحلوم منهم أن تفسد تلك الملكة رأسا بطول العهد، فينغلق القرآن والحديث على الفهوم فاستنبطوا من مجاري كلامهم قوانين لتلك الملكة مطردة شبه الكليات والقواعد، يقيسون عليها سائد أنواع الكلام، ويلحقون الأشباه منها بالأشباه.[1]

ومما يدل أيضا على أهمية اللغة العربية في فهم الكتاب العزيز حرص العلماء في العصور المتقدمة على التأليف في إعراب القرآن ومعانيه، بل إن بعض هذه الكتب منها ما يسمى "بمعاني القرآن" مما يوحي بأهمية الإعراب في فهم المعاني والدليل على ذلك ما جاء في "كشف الظنون" لحاجي خليفة حين عد (إعراب القرآن) علما من فروع علم التفسير.

واللغة عموما، أي لغة كانت، لها ثلاثة وظائف هي:

- أي اللغة هي الركن الأول في عملية التفكير.
- وهي وعاء المعرفة.
- وهي الوسيلة الأولى للتواصل والتفاهم والتخاطب وبث المشاعر والأحاسيس.

وهذا القدر من أهمية اللغة مشترك بين بني الإنسان وبين اللغات كافة في كل مكان وزمان إلا أن اللغة العربية امتازت عن سائد لغات البشر بأنها اللغة التي اختارها الله سبحانه وتعالى. لوحيه لما تمتاز به من مميزات، ويمكن أن نلخص أهمية اللغة العربية في النقاط التالية:

[1]- ابن خلدون، المقدمة، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، ط1، 2004م، ص426.

• **أولا:** أن البيان الكامل لا يحصل إلا بها، ولذا لم ينزل القرآن إلا باللغة العربية، قال تعالى: «بِلِسَانٍ عَرَبِيّ مُّبِينٍ » الشعراء 195 فدل ذلك على أن سائر اللغات دونها في البيان ولقد أوضح هذا المعز أبو الحسين أحمد بن فارس المتوفى سنة 394 هـ حيث قال "فلما خص جل ثناؤه اللسان العربي بالبيان علم أن سائد اللغات قاصرة عنه وواقعة دونه".[1]

وقد يقول قائل: قد يقع البيان بغير اللسان العربي، لأن كل من أفهم بكلامه على شرط لغته فقد بين؟

فيقال له: إن كنت تريد أن المتكلم بغير اللغة العربية قد يعرب عن نفسه حتى يفهم السامع مراده فهذا أحسن مراتب البيان، لان الأبكم قد يدل بالإشارات وحركات له على أكثر مراده، ثم لا يسمى متكلما، فضلا عن أن يسمى بيتا أو بليغا، وإن أردت أن سائد اللغات تبين إبانة اللغة العربية، فهذا غلط، وقد بين السيوطي رحمه الله في "المزهر" وجه الغلط قائلا: "...لأنا لو احتجنا إلى أن نعبر عن السيف وأوصافه باللغة الفارسية، لما أمكننا ذلك إلا باسم واحد ونحن نذكر للسيف صفات كثيرة كذلك الأسد والفرس وغيرهما من الأشياء المسميات بالأسماء المترادفة فأين هذا من ذاك؟ وأين سائر اللغات من السعة ما للغة العرب؟ هذا ما لا خفاء به على ذي نهية".[2]

ثانيا: إن اللغة العربية تعد مفتاح الأصلين العظيمين: الكتاب والسنة، فهي الوسيلة إلى الوصول إلى أسرارها، وفهم دقائقها وارتباط اللغة العربية بهذا الكتاب المنزل المحفوظ جعلها محفوظة ما دام محفوظا، فارتباط اللغة العربية بالقرآن الكريم كان سببا في بقاءها وانتشارها وحتى قيل لولا القرآن ما كانت العربية، ولهذا السبب عني السلف بعلوم اللغة العربية، وحثوا على تعلمها، والنهل من عبابها وإليك بعض أقوالهم التي تدل على أهمية اللغة العربية.

من أقوال السلف في أهمية اللغة العربية:

1- يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه تعلموا العربية فإنها من دينكم وتعلموا الفرائض فإنها من دينكم.[3]

[1]- الرازي، الصاحبي في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط1، 1997م، ص4.

[2]- السيوطي، مصدر السابق، ص321.

[3]- الأنباري، إنصاح الوقف والابتداء، تح: محيي الدين عبد الحميد رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1971م، ص16.

2- وكتب عمر إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنهما أما بعد فتفقهوا في العربية وأغربوا القرآن فإنه عربي.[1] و في توجيه عمر هذا أمران:

- الدعوة إلى فقه العربية.
- الدعوة إلى فقه الشريفة.

وبين شيخ الإسلام سبب قول عمر "تفقهوا في السنة وتفقهوا في العربية حيث قال: "لأن الدين فيه فقه أقوال وأعمال، ففقه العربية هو الطريق إلى فقه الأقوال، وفقه الشريفة هو الطريق إلى فقه الأعمال".[2]

3- وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما معنى: «... فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ...» الأنعام-14، حتى سمعت امرأة من العرب تقول: أنا فطرته أي ابتدأته[3]. وقال: "إذا خفي عليكم شيء من القرآن فاتبعوه في الشعر فإنه ديوان العرب".[4]

4- وأنشد المبرد:

النحو يبسط من لسان الألكن والمرء تكرمه إ ذا لم يلحن

وإذا طلبت من العلوم أجلها فأجلها عندي مقيم الألس.[5]

يعني العلم الصحيح هو مقيم الدين، مقيم العبادة ودليله أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بقي عشرة سنين بمكة لا يدعو إلا علم العقيدة الذي هو أساس كل علم وأصل العلوم، وبقية العلوم تتفرع عنه، فعلم العقيدة والشريعة هو أهم ما يجب على المسلم أن يتعلمه قال الشيخ بكر أبو زيد "والجلالة هنا يعني في قوله فأجلها نسبة إلى علوم الآلة والله أعلم".[6]

5- وقال الشعبي: النحو كالملح في الطعام لا يستغنى عنه وروى أبو لغيم في رياضة المتعلمين عن ابن شرمة قال "زين الرجال النحو وزين النساء الشحم"

---

[1]- المصدر السابق، ص17.

[2]- ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر بن عبد الكريم العقل، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ج1، ط2، (د.ت)، ص425.

[3]- ابن حزم، الإحكام في أصول القرآن، دار الافاق الجديدة، بيروت، ج1، ط2، 1983م، ص17.

[4]- الألوسي، التفاسير، دار الاحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)،(د.ت)، ج21، ص192.

[5]- الصفدي، البينين في الوافي بالوفيات، دار الريان، بيروت، ج3، (د.ط)، 2008م، ص168.

[6]- بكر أبو زيد بن عبد الله، حلية طالب العلم، مؤسسة الرسالة، مصر، (د.ط)، 2002م، ص201.

ثالثا: أن بالعلم باللغة العربية تحصل إقامة الحجة على الناس وهذا دخل في عموم قوله تعالى:«يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ ...» النساء 135، فلا يمكن أن يكون الإنسان شاهدا لله إذ لم يكن فاهما لما يشهد به، لأن العلم شرط في الشهادة لقوله تعالى: «...وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَـٰفِظِينَ » يوسف 81، ولقوله تعالى: «... إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ » الزخرف 86، فلا يمكن أن يشهد الشاهد بما لا يعلمه ولا يفهمه ولا بد أن يكون الإنسان فاهما لما يشهد به حتى تقبل شهادته على ذلك والله تعالى جعل هذه الأمة شاهدة على الناس كما قال تعالى: «وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ...» البقرة 143.

ولا يمكن أن تتم الشهادة على الناس إذا كانت لا تفهم ما تشهد به وليس هناك وسيلة للإطلاع من خلالها على أحوال الناس وما كذبوا به أنبياءهم إلا القرآن والقرآن بلسان عربي مبين فإذا لم تفهم هذا، فلا يمكن أن تكون شاهدا على الناس، فإذا جاء نوح يوم القيامة يخاصمه قومه فقالوا: ما جاءنا من بشير ولا نذير فقال: بلى قد مكنت فيكم ألف سنة إلا خمسين عاما، فيقال: من يشهد لك؟ فيقول محمد وأمته فإذا كنت لا تفهم الآيات التي جاءت في قصة نوح، فلا يمكن أن تكون من الشهداء على هذا لأن الشهادة من شرطها العلم.

رابعا: أن اعتياد التكلم باللغة العربية يؤثر في الفعل والخلق والدين:

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: اعلم أن اعتياد اللغة العربية يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين، ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق.[1]

وقال أيضا: معلوم أن تعلم العربية وتعليم العربية فرض على الكفاية، وكان السلف يؤدبون أولادهم على اللحن فنحن مأمورون أمر إيجاب أو أمر استحباب أن نحفظ القانون العربي ونصلح الألسن المائدة عنه، فيحفظ لنا طريقة فهم الكتاب والسنة والاقتداء بالعرب في خطابها فلو ترى الناس على لحنهم كان نقضا وعيبا.

[1]- ابن تيمية، المرجع السابق، ص424.

وقال أبو الهلال العسكري فعلم العربية على ما تسمع من خاص ما يحتاج إليه الإنسان لجماله له في دنياه وكمال آلته في علوم دينه.[1] وقال الشافعي: "من نظر في النحو لقا طبعه".[2]

خامسا: أن اللغة العربية والمحافظة عليها من الدين وهي خصيصة عظيمة لهذه الأمة:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "تعلموا العربية فإنها من دينكم"[3]. وقال شيخ الإسلام ابن تيمية فإن نفس اللغة العربية من الدين ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا بفهم اللغة العربية وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب ثم منها ما هو واجب على الأعيان ومنها ما هو واجب على الكفاية.[4]

5- علاقة اللغة العربية بالعاميات:

أبدأُ مداخلتي بالحديث عن اللغة العربية في علاقتها بالعاميات، أو اللهجات العامية، وهذا ليس خوفا من اللغة العربية، فأعتقد أن اللغة التي حملت كتاب الله قادرة على أن تحمل أي شيء أخر من العلوم والمفاهيم والمصطلحات. سنبدأ من منطلق كوني ممارسا للكتابة ومبدعا باللغة العربية واللغة الفرنسية، لذا ستكون مداخلي عبارة عن أفكار حول التلوث اللغوي الذي تعرفه البيئة اللغوية. اليوم السادس جوان وهذا اليوم مصادف اليوم العالمي للبيئة، وأنا أعتقد أن البيئة ملوثة واللغة أيضا، وجميل أن نجمع بين حماية البيئة الطبيعية والبيئة اللغوية من أين جاء هذا التلوث اللغوي؟ نتطرق لهذا التلوث في النقاط الآتية:

– في العهد الاستعماري أي بعد عصر الكلونيالية ظهرت أنتليجنسيا تعيش بين اللغتين وهذا التزاوج بين الانتليجنسيا المعربة و الأنتليجنسيا المفرنسة، تولد عن هذا الذهاب والإياب خلط لغوي علما بأنه لا توجد لغة صافية وأن كل اللغات ملوثة.

– العشرية الأخيرة، العشرية المعلوماتية، والشفق الكبير للمصطلحات الجديدة، فكل ما هو تكنولوجي خلق نوعا من الفوضى، نوعا من الزلزالات داخل اللغة العربية، خاصة وأن دولنا دخلت هذا المجال دون تحضير ومعرفة للتكنولوجيا ولا يعتبر هذا الاستعمال إلا استهلاكا، وهذه الحالة شملت كل الدول العربية والأمر ليس مقتصرا على الجزائر فقط.

---

[1]- سالم مبارك الفلق، اللغة العربية التحديات والمواجهة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، (د.ط)، 2011م، ص10.

[2]- ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، دار ابن الجوزي، الدمام، ج2، (د.ط)، 1994م، ص132.

[3]- الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء، تح: محيي الدين عبد الحميد رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، (د.ط)،1971م، ص3.

[4]- ابن تيمية، المرجع السابق، ص207.

وفي ملتقى نظمته المكتبة الوطنية في الأيام القليلة السابقة، مشاركة مصرية في العربية الإنجليزية فاختار المترجم كيف يترجم هذه المداخلة التي كانت عبارة عن خليط، وهذا دليل على وجود هذا التلوث اللغوي في جميع المناطق العربية، الجزائر ومصر وبلدان الخليج.

ويمكن تلخيص أسباب التلوث اللغوي فيما يلي:

- مخلفات الاستعمار.
- التدفق المصطلحي للتكنولوجيا الحديثة.
- اليد العاملة الوافدة، وهذا السبب خاص ببلدان الخليج.

كيف لنا أن نعالج هذا التلوث؟.

علينا أن نضع قانون للغة الأجنبية لنحمي به اللغة العربية، وتحديد مكانة واضحة للغات الأجنبية أي لا بد من تقنين هذا الوجود اللغوي لحماية اللغة الأم، لأننا لا نخاف من الخطأ في اللغة العربية بقدر ما نخاف من التلوث اللغوي، ويجب علينا أن نفرق بين التثاقف اللغوي والتلاغي والتلوث، هذا الأخير الذي يعتبر اختراقا فوضويا للغة العربية، فالأمة التي لا يقرأ: مهندسوها، وأطباؤها الأدب من رواية وشعر،... لا يمكنها أن تعيش متعايش اللغة وقد أشار لذلك سماحة الشيخ عبد الرحمان شيبان رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مقال له صدر خلال سنة 1949م، على ضرورة دخول الأدب إلى هذه الشرائح في المجتمع، وقد نبه إلى ذلك في وقته، وللمكتبات أيضا دور حاسم في الحد من هذا التلوث، فكلما توسع نسيجها كلما حوصر التلوث اللغوي. كذلك إعادة النظر في المجامع اللغوية العربية المتواجدة في دولنا، وإخراجها من النظام الأكاديمي القديم، وربطها بالحقل الثقافي والإبداعي.

والمجلس الأعلى للغة العربية، خرج عن الصورة التقليدية التي كانت في أذهاننا على أنه عبارة عن جمع للمتقاعدين والشيوخ وقد تحول ببرامجه في منبر حوار الأفكار ومنه فرسان البيان حيث فتح الباب أمام، والشباب على وجه الخصوص وتشجيعه للمبدعين من خلال الجوائز وفتح المسابقات التنافسية انشر اللغة العربية، وتنظيفها من الدخيل والقضاء على التلوث اللغوي، وخاصة عندما أصبحت أعماله تنشر وتوزع وهي سنة محمودة ينبغي على باقي المؤسسات أن تحذو حذوه.[1]

[1]- الفصحى وعامياتها لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب أعمال الندوة الدولية التي نظمت بالتعاون مع وزارة الثقافة ضمن فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007 يومي 04-05 يونيو 2007، الجزائر، ص(313 -315).

6- أسباب ضعف اللغة العربية:

لا شك بأن العامل النفسي له دور كبير في تفشي الضعف في اللغة العربية، فقد دخل في روعنا أن اللغة العربية صعبة، متعددة، كثيرة القواعد مع اختلاف الآراء فيها، وأن الكتابة العربية بما فيها من مشاكل تشكل عائقا كبيرا، وسببا جسميا في ضعف الناس في استخدام صحيح اللغة، ولعل تعقد الحياة في هذا العصر وما صاحبه باطراد من غلاء الأسعار، وازدياد اهتمام الناس بالسعي لتوفير قوتهم، وتحصيل معاشهم، يشكل عاملا آخر من العوامل العامة في ضعف العربي في لغته العربية، إذ لم يعد لديهم الوقت لارتياد المكتبات، وعز عليهم المال لشراء الكتب، واقتناء المقروءات، وتفشي الأمية، وشيوع العامية من الأسباب الواضحة في ضعف اللغة لدى أبناء العربية، ومع كل الجهود الحثيثة من الحكومات لمكافحة الأمية، فإن نسبة الأمية ما تزال كبيرة. ومن أسباب ذلك ندرة المعلم الجيد، فقد أصبحت مهمة تدريس العربية في شتى المراحل الدراسية، تستند إلى مدرسين غير أكفاء.

كما أن وسائل الإعلام تساهم في الضعف اللغوي القائم، حيث لا تهتم كثيرا باللغة العربية، ولا تضع في أهدافها العمل على السمو والارتقاء، باللغة الفصيحة السليمة.

أما المؤلفون الذين يكتبون في شتى الموضوعات بلغة ضعيفة، فهم يقدمون لقرائهم نموذجا لا يساهم برفع مستواهم اللغوي، بل ينحدر بهم الضعف اللغوي الذي تشهده.[1]

أما المشكلة الأساس فتكمن في تعلمنا العربي، فكثير من البلدان عزلوا اللغة العربية فصارت بعض الجامعات تدرس مادة اللغة العربية لغير المختصين، والطالب الجامعي العربي الذي يدرس التاريخ، أو الفلسفة يجب التساهل مع لغته، لأنه لا يدرس في اختصاص اللغة العربية.

إذن في ضوء ما سبق نرى بأن المشكلة ذات أساس فكري، وثقافي، يخص هوية المواطن العربي ومشروعه المستقل، ووعيه بذاته، واكتشافنا لهويتنا، وذواتنا سيليه اهتمام باللغة[2]، كما تتعرض لغتنا العربية لألوان من الهجر، والمضايقة، والتشويه من أكثر أبنائنا، يتمثل ذلك في الآتي:

- إن اللغة الأجنبية هي لغة التعليم الجامعي في الأقسام العلمية، في كثير من جامعات الدول العربية.

- اللغة السائدة في المراكز الصحية والمستشفيات، والفنادق هي اللغة الأجنبية مع أن غالبية الأطباء، والعاملين في تلك المؤسسات والمواقع من العرب.

---

[1]- أبو مغلي سميح، الأساليب الحديثة لتدريس اللغة العربية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، (د.ط)، 1999م، ص(107-109).

[2]- عبد المولى ومحمد علاء الدين، وجهة نظر في واقع اللغة العربية، الحوار المتمدن، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 2006م، ص1.

– الكم الهائل من المفردات تسللت إلى لغتنا العربية، وبخاصة في معشر المدققين غير مدركين لخطورة هذا المسلك.

– هجر الفصيح اللغوي وغربته.

– ضعف معلمي اللغة بشكل عام، واللغة العربية بشكل خاص، فلا يلتزمون بالفصيح في أثناء تدريسهم، ويستخدمون اللهجة المحلية وذلك يعود لسببين:

أولهما :عدم الاهتمام بالعربية الفصحى.

ثانيهما: عدم إلمامهم بقواعدها وأصولها، وعدم وجود المنهج الدراسي المختار بعناية، ووجود الأخطاء الجسيمة، والمخالفات اللغوية، والنحوية الواضحة في اللافتات، واللوحات المعلقة على واجهات المحلات التجارية، ووجود بعض المسميات الدخيلة على لغتنا، والاحتفاء بالآداب الشعبية والأشعار العامية، فترى الصحف تتسابق في خدمة هذا النوع من الأدب ونشره، والتشجيع عليه، وهذا دليل على ضعف المستوى التذوقي عند بعض أفراد الأمة.[1]

وبناء على ما مر فلابد من إيجاد الحلول المناسبة، بإعداد تربوي إلى جانب الشهادة الجامعية، فإعداد المعلم الجيد لأساليب التدريس، التي يجب أن توضع مراعية لمعطيات علم التربية وعلم النفس، ومناسبة لحقائق اللغة العربية ذاتها، وقدرات التلاميذ في تقبلها، والترفيع التلقائي الذي درجت وزارات التربية والتعليم العربية على العمل به، في الصفوف الابتدائية الدنيا، سبب في جعل التلاميذ يصلون المراحل العليا مهم ضعاف في اللغة وفي غيرها من الدروس.[2]

ولابد من التربية الجمالية، وديمقراطية روحية لفهم اللغة، واللغوي العامل بالمعجم اللغوي ليحرس اللغة، عليه أن يتماشى مع تطور اللغة، ويدخل ما يستجد من مفردات حديثة ومتطورة[3].لنصل إلى لغة عربية، فصيحة، قويمة مسايرة للتطوير، وللمستجدات الحديثة.

[1]– محمد علي، محمود إبراهيم، واقع العربية اليوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 2006م، ص (1-6).

[2]– أبو مغلي سميح، المرجع السابق، ص1.

[3]– عبد المولى، محمد علاء الدين، المرجع السابق، ص1.

الفصل التطبيقي: علاقة اللهجة باللغة الفصحى

1- اللغة العربية وتحديات الازدواجية اللغوية (الواقع والحلول).

2- الفصحى والعامية.

3- النموذج التطبيقي.

4- دراسة مقارنة بين النموذجين.

5- طغاء العامية على العربية الفصحى.

1- اللغة العربية وتحديات الازدواجية اللغوية (الواقع والحلول)

بداية فان واقع أي أمة من الأمم يعكس واقع لغتنا قوة وضعفا،ونهضتا وسقوطا، ومدا جزرا، فإذا كانت الحيات الفكرية والثقافية للأمم في مسار النهوض والتصاعد والرقي، كانت اللغة على قدر ذلك، نهوضا ورقيا واتساعا وخصوبة ومما هو معلوم بالضرورة لدى كل غيور على أمته، والحريص عليها من كل زيغ وتيهان: أن اللغة قيمة جوهرية كبرى في حياة كل أمة، فإنها الأداة التي تحمل الأفكار، وتنقل المفاهيم، فتقيم بذلك روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، وبها يتم التقارب والتشابه والانسجام بينهم.[1]

ومن هنا، فإن الأفكار والعواطف لا تنفصم عن القوالب اللغوية التي تضع فيها الأفكار، والصور الكلاسيكية التي تصاغ فيها المشاعر والعواطف، ولهذا فإن اللغة هي الترسانة الثقافية والمعرفية التي تبني الأمة وتحمي كيانها، هي التي تجعل من الأمة الناطقة بها كلا متراصا خاضعا لقوانين، إنها الرابطة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان.[2]

ولهذا إذا نظرنا إلى أعمال الثورة الفرنسية نجذ عجبا، فقد كرست مبادئ الاهتمام بالدين واللغة القومية، وفي هذا يقول أحد الرهبان الفرنسيين: إن مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة يقضي بفتح أبواب التوظف أمام جميع المواطنين، ولكن تسليم زمام الإدارة إلى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية يؤدي إلى محاذير كبيرة، وأما ترك هؤلاء خارج ميدان الحكم والإدارة فيخالف مبدأ المساواة فيترتب على الثورة —والحالة هذه — أن تعالج هذه المشكلة معالجة جدية، وذلك بمحاربة اللهجات المحلية، ونشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين.[3]

وهذا يدفعنا للقول بأن اللغة القومية "وطن روحي يؤدي من حرم وطنه على الأرض" كما يقول فوسلر، بل إن اللغة مظهر التاريخ والتاريخ صفة الأمة، كيفما قلبت أمر اللغة من حيث اتصالها بتاريخ الأمة واتصال الأمة بها-وجدتها الصفة الثابتة التي لا تزول إلا بزوال الجنسية، وانسلاخ الأمة من تاريخها.[4]

[1]- فرحان السليم، اللغة العربية ومكانتها بين اللغات، منتدى مجمع اللغة العربية، 2004، ص5.

[2]- مقالة للفيلسوف الالماني جوهان جوتليب فيخته، واقع اللغات والطموحات، منتدى مجمع اللغة العربية، 2006، ص11.

[3]- مقالة الراهب الفرنسي غريغوار، ازدواجية اللغة، منتدى السياسات اللغوية بين الامم المتقدمة، 2010م، ص16.

[4]- مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم اللغة والأمة، المكتبه العصرية، بيروت، ج3، 2002م، ص66.

وعلى ما سبق، فإن اللغة هي الأداة المعبرة عن منجزات العقل وإبداعاته، وعن نمو الثقافة وإمداداتها وهي وعاء الحضارة، ومرآة القيم ودليل الحياة، وهذا ما فهمته الشعوب الأوروبية فاعتنت بلغتها وجعلتها وسيلتها لفتح الشعوب وقصرها ثقافيا، وغزوها فكريا وكسب مودتها وولائها وتقليدها في أنماط حياتها ومعايشتها.

وهذا ما تجاهلته أمتنا العربية والإسلامية في أوضاعها الراهنة، فلم تجعل لغتنا وسيلة للتلاقي الحضاري والتواصل الاجتماعي، ومظهرا لعزتها وقوتها وكرامتها، ولعل هذا ما جعل لغة القرآن الكريم تعاني المهانة والإعراض والاحتقار، لا من قبل أعدائها فحسب، بل الأدهى والأمر، أنها تعاني ذلك من قبل أبنائها كذلك، فكم هي مهمشة على مستوى الأقسام والتخصصات، وكم هي منسية على مستوى الوظائف والتعيينات.

وفي سبيل التقرب من واقع اللغة العربية عند الناطقين بها وبغيرها وتحديات الازدواجية اللغوية، تطرح هذه الورقة التي ترصد واقع اللغة العربية في الأنظمة التعليمية العربية والإفريقية، وواقع اللغات الأجنبية في أروقة البحث العلمي العربي والإفريقي في القرن الماضي وبدايات القرن الحالي هذا التتبع يرمي إلى رسم المنحنى التطوري لحركة اللغة العربية في عالم المعرفة العربي الحديث والمعاصر، من خلال ما قدمت من دراسات علمية على مستوى عالمي، أو نشرت من كتب أو عقدت من مؤتمرات.

وتتلخص أهداف الورقة بعد أن تشخص الداء اللغوي الذي يستشري في بلادنا العربية وذكر أسبابه في تبيين الدواء الناجع الذي هو في حوزة أصحاب القرار، إنه يتلخص في تبني سياسات تعليمية وإعلامية وثقافية جديدة، تعيد الأمور إلى نصابها الطبيعي، أي استعمال العربية في جميع مجالات الحياة في بلادنا المسماة بالعربية، وذلك باتخاذ قرارات الملزمة ....بنية صادقة[1] ومن هنا، الوقوف على أهم الإجراءات التنفيذية لرفع مستوى اللغة العربية في موطنها وفي العالم.

- **اللغة العربية وتحديات الازدواجية (العالم العربي):**

بداية فإن الحديث عن اللغة العربية في العالم يذكرني بما صرح به ديغول في مذكراته –بعيد استقلال الجزائر– قائلا: وهل يعني أننا إذا تركناهم يحكمون أنفسهم يترتب التخلي عنهم بعيدا عن أعيننا وقلوبنا، قطعا لا فالواجب يقتضي منا مساعدتهم، لأنهم يتكلمون لغتنا ويتقاسمون معنا ثقافتنا.[2]

[1]– علي القاسمي، دراسات في السياسة اللغوية، مكتبة الناشرون، لبنان، (د.ط)، 2010م، ص26.

[2]– شارل ديغول، مذكرات الامل، منشورات عويدات، بيروت، (د.ط)، (د.ت)، ص47.

ضمنيا نلمس من قول ديغول رغبته في تكريس الهيمنة الثقافية في مشروع الاستعماري الجديد كونه سعى إلى أن تبقى الجزائر فرنسية من عدة أوجه، وتحافظ على الطابع الذي أكسبته.[1]

ويعود سبب هذا الحقد –في تقديري– إلى أن اللغة العربية شهدت خلال تاريخها فترات من الازدهار والانتشار، تخطت فيها حدود مجالها العربي إلى أفاق ومناطق واسعة، وذلك في عدد غير قليل من البلدان خارج نطاق العربية وخاصة في بلدان القارة الإفريقية، وقد تمتعت اللغة العربية بوضع ومكانة متميزة على الخريطة اللغوية لإفريقيا، حيث استقرت العربية في غالبية أنحاء إفريقيا منذ وقت طويل، يسبق دخول أي لغة من اللغات الأوروبية إلى إفريقيا، وتحدث بها عدد كبير من الأفارقة وانتشرت بينهم انتشارا كبيرا، وقد ترسخت هذه المكانة بشكل خاص في غالبية دول شرق إفريقيا وغربها، بينما تتراجع هذه المكانة تدريجيا كلما اتجهنا صوب وسط القارة وجنوبها. [2]

وفي هذا الانتشار الواسع للغة العربية قد كان للإسلام الدور الأبرز، حيث سارت العربية مع الإسلام جنبا إلى جنب، وحلقت معه أينما حل، وحيثما ارتحل، فاستخدمت العربية في أداء العبادات والشعائر الدينية لمن يعشق الإسلام، وازداد إقبال معتنقي الإسلام على تعلمها، رغبة في التعمق في الدين، عن طريق الرجوع لمصادره الأساسية عبر قراءة ومدارسة مصنفات الفقه والحديث والتفسير وغيرها من العلوم الشرعية، وقد أدى هذا الارتباط الوثيق بين اعتناق الإسلام وتعلم العربية إلى انه جعل للعربية درجة من الانتشار في كل المناطق التي تضم جماعات مسلمة، كما كان للهجرات العربية لإفريقيا دور في نشر الإسلام واللغة العربية في إفريقيا، وذلك عن طريق السلوك القديم، والقدوة الحسنة، والدعوة الصادقة والتعليم، حيث قاموا بإنشاء المساجد، وفتح المدارس في كثير من البقاع، كما أنهم صادروا أهل البلاد واندمجوا فيهم.[3]

إن هذا القصور الشنيع في استعمال اللغة العربية في واقع الناطقين بها يدفعنا لمعرفة مختلف الأسباب والعوامل الذاتية والموضوعية التي أدت إليه، ونبدأ ب:

- **قلب موازين القيم:**

عاشت اللغة العربية كما قرونا من الازدهار والرقي، لأنها عاشت في في قمة هرم القيم في ميزان الناطقين بها،ولما تغيرت الأمور وأصبحت اللغة العربية في أدنى المراتب، فإننا لما نكون منطقيين مع

[1]– شارل ديغول، المرجع السابق، ص55.

[2]– بن يحي طاهر ناعوس، واقع اللغة العربية في البلدان الافريقية، منتدى مجمع اللغة العربية، 2011، ص4.

[3]– حافظ ابراهيم، الديوان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، ج2، 1980م، ص5.

أنفسنا وواقعيين مع التاريخ، أن ننتظر الازدهار والسيادة للغة العربية في وطنها، ونحن وضعناها في المرتبة الأخيرة في اهتماماتنا الوطنية القومية، فنجد من يعتبر الفقه–قومية وغير قومية– مجرد وسيلة للتفاهم وإذا حصل التفاهم والتعلم بين الأفراد المجتمع العربي وكذلك لغة التعليم بجميع مراحله وتخصصاته في العربية.[1]

وهذا كله وغيره جعل استعمال اللغات الأجنبية يسير وفق هذه القاعدة، كما انطبق أيضا على استعمال اللهجات الدارجة العربية التي أصبحت تنشر بها الخطب الرسمية في بعض الأقطار المشرقية على الخصوص، مما جعل الطلاب الأجانب اللذين يؤمون أقطارنا لدراسة اللغة العربية يصدمون بواقع مخجل، حيث لا يكادون يجدون أثرا للغة الضاد في الواقع، فينكبون على تعلم اللهجة المحلية لهذا البلد العربي أو ذاك، لكي يفهموا ما يقال في الصحافة المكتوبة أو المسموعة أو المرئية، فضلا عن التفاهم مع أفراد المجتمع اللذين يفضلون إستعمال اللهجات العامية، إذ تعذر عليهم مخاطبة الأجنبي بلغته الأصلية في بلدانهم، وأبرز مثال على ذلك ما نجده في السوق من تداول للقواميس المعدة باللهجات المحلية مع لغة أو لغات أجنبية، فنجد مثلا قاموس فرنسيا تونسي أو إنجليزي مصريا أو إسبانيا، أو فرنسيا جزائريا.[2]

2– الفصحى والعامية

عرفنا اللغة لغة إنسانية حية لها نظامها الصوتي والصرفي والصوتي والتركيب، كما لألفاظها دلالاتها الخاصة بها، وقد رأى العلماء أن كل خروج على هذا الخروج بخلط الكلام بلغة أخرى، أو في استعمال اللفظة في غير موضعها أو في مخالفة أي عنصر أساسيا من عناصر كيانها اللغوي الذي يميزها عن غيرها من اللغات الإنسانية.

وظاهرة اللحن في اللغة العربية ليست وليدة العصر الحديث، فقد ظهر اللحن في كلام الموالي والمتعربين من عهد النبي (ﷺ)، فقد فقد ذكر السيوطي أن رجلا لحن بحضرته قال:"أرشدوا أخاكم فقد ظل" وروي من فضل النبي (ﷺ) أنه قال: "أنا من قريش ونشأت في بني سعيد فأنى لي اللحن" وهذا أبو بكر الصديق يشدد النكير على نفسه إن أخطأ، وذلك حيث يقول: "لأن أقرأ فأسقط أحب إلي من أن أقرأ فألحن"، وقيل أن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مر على قوم يسيئون الرمي فقرعهم

[1]– أحمد بن نعمان، واقع اللغة العربية في أجهزة الإعلام (عرض تقويمي)، منتديات طلبة علوم الاعلام و الاتصال جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، 2010، ص1.

[2]– المرجع نفسه.

فقالوا: "إن قوم متعلمون" فأعرض مغضبا وقال: "والله لخطؤكم في لسانكم أشد علي من خطئكم في رمييكم"، سمعت رسول الله (ﷺ) يقول:"رحم الله إمرءا أصلح من لسانه".

ويروي لنا الحافظ أن أول لحن سمعه في البادية قول أحدهم: "هذه عصاتي "بدل"عصاي" وأن أول لحن سمع في العراق قولهم "حي على الفلاح بكسر الياء بدل فتحها، ثم فشي اللحن في العصر الأموي حتى وقع فيه الخلفاء والبلغاء، بالرغم من أنه كان عيبا يتحاشاه الناس، فقد نقل عن عبد الله بن مروان أنه قال ."شيبي ارتقاء المنابر وتوقع اللحن "ونحن لو تبعنا هذه الظاهر لوجدنا أنها مشكلة طارئة على اللسان العربي، إذا لم تكن قائمة حينما كانت اللغة ملكة في لسان العرب، يأخذها الجيل أللآخر ع عن الجيل السابق، فلما جاء الإسلام وفارقوا بيئتهم لحمل دينهم إلى الأمم الأخرى، ودخل الناي في دين الله أفواجا من مختلف الشعوب والألسنة، وخالط العرب الأعاجم في حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية صار من غير الممكن المحافظة على صفاء اللغة على العربية، أن علماء الإسلام، حرصا منهم على لغة القرآن تصدوا لها وألفوا كتب عديدة، منبهين فيها على لحن العوام والخواص، كما جمعوا الشعر الجاهلي، ووضعوا المعاجم على اختلاف أنواعها، فضمنوا لنا بذلك صفاء لغتنا المكتوبة وحفظوها من العبث والفساد.[1]

فاللهجة العامية –إذن– هي اللسان الذي يستعمله عامة الناس مشافهة في حياتهم اليومية، لقضاء حاجاتهم والتفاهم فيما بينهم، ومع مرور الزمن تتخذ هذه اللهجة صفات لغوية خاصة بها، متأثرة بالعوامل البيئية التي وجدت فيها، ويرى الباحثون أن اللهجات تتقارب وتتباعد بمقدار اقترابها وابتعادها عن اللغة الأم من جهة، وبعوامل الغزو الطارئة عليها من خارج أصولها وقوانينها اللغوية من جهة أخرى ولعل الناظر في أمر اللهجات العامية في البلاد العربية المختلفة يجد أنها اللغة العربية الوافدة من الجزيرة العربية، مع ما طرأ عليها من تحريف الكثير من ألفاضها، نتيجة اختلاط العرب بغيرهم من الشعوب الأعجمية، ونتيجة لتحريف عامة الناس، وذلك بخروجهم على قوانين اللغة وأنظمتها.

[1]– نايف محمد معروف، المرجع السابق، ص(53-55).

3- النموذج التطبيقي.

غد وعبير (الشعر الفصيح)[1]

ناصر لوحيشي /ولاية قسنطينة

أهديتني شفقا وحبرا ألمعا أهديت سري لحظة فترصعا
يا فاتح المكنون لطفا إنني أسمو بأنسك مقبلا كي أرجعا
أسفا تلاحقني عصاي ورجفة لاشتا قولي وبعض حلمي ردعا
يا فاتح المكنون لطف اردني نسغا ربيعيا ولمعا أينعا
يا فاتح المخبؤ رفقا بالذي همس المساء بنغميته فأسمعا
أنا ما تعبت فعطر شعرك بلسم ردد إذا شئت الوصال المطلقا
وبنيت ..كم حلم بنيت صيحة لكنه عند المساء تصدعا
وإدعت لطفي بالكلام صراحة ونقضت غزلك بعدما سرنا معا
أماه دليني فإني ملهب يا بسمة زرعت بقلبي مطمعا
أماه ياثقة ورثت حروفها صفحت حاءك نشوة أو مرتعا
أنا إن خلدت إلى مدارك مرة فقد ابتغيت ينيع لمسك أربعا
دثرتني ونشرت همسك واحة ملحاحة إذا كان لمحك موسعا
أوصدت بابك رهبة أو رغبة لكن قلبك يومها ما ودعا
يا ساكب الكلمات في قدحي رؤى أقصر-هديت-فإن حرفك أوجعا
أسررت للغسق البهي ومرجة عند الأصيل فما ألذ وأمتعا
رشي غدي بعبير طيفك ساعة وإستمطري يومي المعتق بالدعا

[1]- شعر الفصيح، توظيف الثقافة الاسلامية في شعر الجزائري المعاصر، مطبعة مزوار، الجزائر، ط1، 2011، ص21.

فقدان ام الأولاد (الشعر العامي)[1]

علي عناد /وادي سوف

محتـــــار ومهمـوم دايـــا في كنيني هارب علي النوم ماباش إجيني
محتـــــار يا لحبـاب ديمـــه ديمـــهْ هـارب علي النـــوم ما نهـداش
سهـــران كـــل الليل في تخمـــيمة بكره نفتن مقـسوم عن قـداش
يـــا نـار قلـبي ليعتـه وتقسيـــمه محـــروق غير الحـــي ما يبـلاش
نيران جاشي في الكـــنين رصيـمه اللي علته في القـــلب ما يبراش
مفارق حبيب معاه عشـرة قـديمة وفـــراق مـــرار مـــا طقتـــاش
الزهـو على طـول الزمان إنصيمه رحـــلت وخلـت وراهـا إحـداش
واش حـــالة الفـــارق بغير جـريمة مـا دام نايا حـي مـا ننســاش
كرهت الحياة ما عاد عندي قيمة إذبلـت ولـت حالـتي مهنـاش
دموعي سخيفة شي فوت القيمة مـا قـواه عنـدي قلب ما يرشاش
إذ اتفكرت نندم عـلى التبسيـمة مـن بعـدها هنـت الحـياة إلـواش
ليـــــام الريـــــح في التبـــريمة والـــدهر ديمـا صنعتـه غشـــاش
قـــداش كانت من عبـاد مقيمـه واللـي مشـــي يـزيـــه مـا ولاش
بحـال لا كـانت هنـــايا ديمـــه عشـرين عـام وزيـدها سـطاش
في بيتـــها لاظـــانه تخميمـــه وأدت معـاها كـان طرف قمـاش
لو كـــانها بالمـــال نمـلى خيمـة ولو كـــأنها بالـــذراع مـا تفـــراش
جت شهوة الخالق حكم عظيمة قـــادر إجيـب الصبر ما إكيداش
محتـار ومهمـوم دايـــا في كنيـني هـــارب علي النـوم مـاباش إجيني

[1]– علي عناد، من روائع الشعر الشعبي علي عناد، دار الثقافة لولاية وادي سوف، الجزائر،(د.ط)،(د.ت)، ص119-120.

4- دراسة مقارنة بين النموذجين:

لاشك في إفادة الأدب المعياري للعامي فهو المنهل الأول والأخير ليتداخلان معا على الصعيد المادة والشكل كون أن المعياري أي أن الفصيح هو شكل أول للعامي في نشأته "الأدب الجاهلي" لكن بقي هذا النوع بشكله ومضامينه الأدبية وأدواته الفنية مشدودا في بنيته متكاملة وما داخلة تؤسس لكيان أدبي قائم بذاته يحده فقط في الكثير من الأحيان التمايز اللغوي الذي هو مجال دراستنا

يمكن أن يتأسس الفرق بين النمطين القائمين على التمايز اللغوي بدرجة أولى إلى إحداث البعد الشفهي للقصيدة الشعبية والبعد الكتابي في القصيدة الفصيحة "المعيارية" كون أن البعد الكتابي يحتوي الشفاهي الذي يعد المعين الأول لفعل الكتابة فلا تقام كتابة دون مستوى أول ألا وهو مستوى الشفهية فالكتابة شفاهية متطورة بهذا المفهوم لكن سيضع هذا التطبيق في التأثير المباشر والضمني لتجربة الشعر الفصيح الأصلي في التأليف والتدوين أمام الفرع الشعبي والشفاهي باعتبار رافدا للأول لا أكثر ولا أقل.

تأخذ القصيدة المنظمة إلى إحدى الطرفين أبعاد من خلال طبيعة المعطى النص سواء كان عامي أو فصيح، فمن هنا يتأسس الفرق علاوة في المماثلة كون العامي هو ذو بعد تأثيري في الأول على الكتابة كما حصل في الأدب الجاهلي "البطولي" الذي أخذ نظام السطرين وأصبح متداولا في الأدب الرسمي الذي كان فرعي في نشوءه لكن تطور باعتماده هذه الصفة باتفاق العرب حول لغة موحدة هي لغة قريش أمام مختلف لغات أو لهجات العرب بعامة.

4-1- طبيعة الكتابة في الشعر الفصيح:

يتبن في الشعر الفصيح الصياغة الجزالة والوصف الدقيق وقوة الأسلوب وسعة الخيال ومقدرة على التصور والتنويع فيه بطريقة تقترب من الخلق والإبداع لما تنتجه طبيعة الكتابة التي تجعل الكاتب يتأنى ويتربص بنوع من التأمل والتفكير ومراجعة كل نقطة وفاصلة في قوله أثناء أداء علاقاته بينه وبين الورقة، فيستبدل الألفاظ والتراكيب كما يشاء ويتعمق في الأفكار ليغوص في معاني بعيدة التناول وهذا ما حصل مع الشاعر ناصر لوشي، "يا فاتح المكنون، همس المساء، عطر شعرك بلسم، المساء تصدعا، ورثت حروفها، ساكب الكلمات روي، أسررة العنق البهي، رغدي، يومي المعتق".

ننظر الي كل هذه التعابير من الاستعارات التشاخيص والكنايات ليست مطلبا في حد ذاتها وإنما وسيله لتفجير طاقاته اللغة الفنية، فإن كانت هذه التعابير تفيد من البلاغة القديمة لكن تتجاوزها إلى الخلق والإبداع لما تودعه في الألفاظ من معان بعيدة إثر، المداخلة بين الألفاظ والتراكيب بشكل

يكسر العادي والمعتاد في الثقافة الشفهية أو العامية التي تستند في الأكثر الأعم على ما يمليه الواقع على الشاعر فهو حبيس المحيط ونمط مادي محكوم بعنف اللحظة وبالإملاءات دون أن ينعتق وينفلت عن التطورات التقليدية مثل الأنموذج الذي بيم أيدينا لعلي عناد:" سهران طول الليل، هارب عليا النوم، يانار قلبي نيران جاشي، علة القلب، فراق مرار، خلت وراها، مادام نايا حي، كرهت الحياة".

4-2- طبيعة الكتابة الشفاهية "العامية:

هذه التعابير السابقة عادية جدا لكن الجديد فيها طريقة النظم والترصيف يحسن استغلال المعطى الثقافي وإحلال التناسب بين التراكيب المتوازنة ما تسمى بالصيغة فالشاعر الشعبي علي عناد يكتفي بتقديم لوعته باستخدام الكثير من التعابير الشعبية المتوافرة والمتداولة ولا يستطيع هذا العامي أن يبتكر صيغ أخرى كونه محكوما باللحظة المباشرة لفعل القول قي بعده الارتجالي الذي لا يتكرر فرصة للشاعر بأن يفكر بالبديل أو حتى يعيد الصياغة إلا بشكل بسيط .

فمزية الشاعر الشعبي هو إيجاد نوع من الملائمة بين ما يحس به وبين ما هو مشابهه في الواقع، فهذا الرابط ليس بالسهل أن يكشف الصلاة الرابطة بين معنويات والماديات عبر شخصية والموارات وأساليب الشعر وألا عيبه فالشاعر الشعبي له قدرة في هذا المجال انطلاق من مستواه البسيط فلا يتدخل في خلف عوالم أخرى تتجاوز الواقع كونه لا يفقه مثل هذه الأمور فهي من اختصاص الشاعر المثقف المسكون بطاقات مضافة طاقة الفكر والوعي الفلسفي للكائن في بحثه عن الممكن أو الذي يجب أن يكون .

4-3- التوافق الشكلي دون المضمون:

نستطيع أن نقول أن القصيدة الفصيحة هي بنية متطورة عن الشعبية، حيث أنها بقيت محافظة على شكلها الخارجي والغرض الأدبي "الرثاء" لكن طريقة الغرض أو ما نسميه ماء الشعر أو التجربة الشعرية وهي التي صنعت الفارق وليست اللغة لأننا يمكن أن نعبر على الكثير من القصائد الفصيحة رديئة جدا ولا تصل إلى مستوى القصيدة الشعبية لـ: "علي عناد" هذه، فتجربة الشاعر الفصيح المحترفة هي التي صنعت هذا الفارق بينها وبين القصيدة الشعبية بقوة الخلفية الثقافية والفلسفية والوعي الخاص الفصيح .

- **مرحلة الصراع بين العامي والفصيح:** تبلورت في خضم هذه الأحداث اتجاهات متصارعة حول الشعر العربي الحديث بين أنصار **الأنصار** الأدب الفصيح والاتجاه المحافظ وأنصار الدعوة إلى

الأدب العامي أو الاتجاه التمردي الداعي إلى "تجاوزات والتخطي"، فاحتدم الصراع بين الفريقين وظهر في شكل معارك أدبية إتخذت في مصر ولبنان موطنين لها.

في تلك الظروف أيضا عرف شعر العامية في هذين البلدين تطورا كبيرا. فبصدور ديوان "كلمة سلام" للشاعر المصري صلاح جاهين، كانت العامية بما تسلحت به من تراث إبن عروس وبيرم التونسي قد قطعت شوطا لا يستهان به، إستطاعت من خلاله أن من خلاله أن تلبي إحتياجات السليقة الفنينه عند الشعراء، بحيث اتخذت لنفسها أشكالا ساذجة تدور حول الحياة العادية البسيطة أو حول الحكايات والأساطير.

وقد تمكن فؤاد حداد الأب الشرعي للحركة الشعرية العامية في مصر الحديثة، من تخليص شهر العامية من خصائص النشيد القومي والأغنية المذاعة، وينتهي به إلى ما يمكن تسميته بالمضمون الفني الذي يعالج التجربة الإنسانية في أبعد حدودها، فإكتسب هذا الشعر على يديه قيمته الخاصة والتي كانت يدورها من روائد التجربة الشعرية العربية المعاصرة.

كما استطاعت مجموعة من الشعراء الشعبيين في مختلف البلاد العربية نذكر منهم ميشال طراد في "دولار" وموريس عواد قي "أغتار" وعبد الله غانم في "العندليب" أن تكون حلقة وصل بين الشعر العامي والشعر الفصيح عن طريق التحول الذي أحدثته على مستوى القصيدتين "الفصحة والعامية" سواء من حيث المضمون أو من حيث الأبنية التعبيرية والقيم الاقاعية والموسقية، وقد إستمر كوكبه أخرى من الشعراء والأدباء تؤسس لهذا الاتجاه وتعمل على تزكينه وتطويره من أمثال المازني وإلياس أبو شبكة وأحمد زكي أبو شادي وعلي محمود طه ولطفي السيد وعبد العزيز فهمي وسلامة موسى وغيرهم ممن كانوا يصدرون أحيانا عن مفهوم جديد لمعنى اللغة والفكر[1].

إذا كان الشكل القديم مقبولا في زمن كان غرض القصيدة محصورا في التعبير عن العواطف وإعادة صياغة الأشياء كما هي، فإن فكرة تشكيل القصيدة أصبحت تتبع من الإقرار بأن هذه الأخيرة لم تعد مجموعة من الخواطر والأفكار أو الصور، ولكنها بناء منظم ومندمج الأجزاء، ومن ثم كان الغرض من التعبير الشكل الشعري المتوارث هو جعل هذا البناء أكثر تنظيما وتماسكا، وخلق نوع من الانسجام والترابط العضوي بين التجربة الشعرية المعاصرة والأدوات الفنية المعبرة عنها. وذلك أن فلسفة الشعر الجديد أصبحت قائمة أصبحت قائمة على حقيقة جوهرية وهي أننا لا نشد المضمون على

[1]- كاملي بلحاج، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة "قراءة في المكونات والأصول"، من منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2004، ص12.

القالب أو في الإطار، وإنما تترك المضمون يحقق لنفسه وبنفسه الإطار المناسب، وهو أيضا ما يراه غالي شكري من أن فلسفة الشعر المعاصر الجمالية تنبع من صميم الخلق الشعري وطبيعته الفنية، وما على الشاعر إلا أن يشكل القالب الموسيقي الذي تقتضيه الدفقة الشعورية في مجملها.

من هذا المطلق الجديد لمفهوم الشعر وطبيعته بات من الضروري على الشاعر المعاصر إذا أراد ألا يكون مقلدا لسابقيه . أن يجدد في طرق التعبير وأدواته الفنية تماشيا مع هذا المفهوم وهذه الفلسفة الرامية إلى تغيير الرؤى والأشكال والقوالب، ومن ثم كانت العودة إلى التراب الشعبي والثقافات القديمة بمختلف أشكالها التعبيرية أمرا ضروريا لتجاوز المرحلة، وكان التمرد والتحرر من القيود والأشكال القديمة هما أولى مداخل هذا العهد الجديد[1].

5- طغاء العامية على العربية:

العامية في أمصار الإسلامية أول عهدها لحنا صرفا لما بقي في أهلها من آثار السليقة، على حساب هذه الآثار كانت درجاتها في القرب من الفصيح والبعد عنه، فكانت لا تزال قريبة من الفصحى في عوام الحجاز والمضرين: البصرة والكوفة إلى القرن الثالث، حتى عرف بعضهم المولد بأنه ما يكون من هذا الضرب لحنا وتحريفا كما أومأنا إليه من قبل وقد ذكر الجاحظ لغة أهل المدينة لعهده، فقال: أن لهم ألسنة ذلقة، وألفاظا حسنة، وعبارة جيدة . . . ثم قال: "واللحن في عوامهم فاش، وعلى من لم تنظر في النحو منهم غالب".

أما العامة في الشام ومصر والسواد، فقد علقوا ألفاظا كبيرة من الفارسية والرومية والقبطية والنبطية فسدت بها لغتهم فسادا كبيرا، لأنهم خلطوها بها خلطا ولم يجانسوا بين الأصلية والدخيل، وليس يخفي أكثر ما تقتبسه العامية أنما هو من الأسماء، وأن اقتباس الصفات فيها قليل، لأن الأسماء هي في الحقيقة أدوات اجتماع، والعوام إنما يلتمسون التعبير والإبانة كيفما اتفق لهم هذا الغرض، ولقد كانت الشام ومصر وسواد العرق أوفر خصبا وأكثر عمرانا من سائر الأمصار الإسلامية، فمن ثم كان عوامها أسقط ألفاظا، وقد رأينا العلماء يصفون اللفظ العامي الساقط المبدوء وما يدخل في باب الرطانة من ذلك، بالسوقي _بالنسبة إلى السوق_ لا يتجاوزون هذا الوصف، لأنه أبيت في الدلالة على الفساد والإبتدال، ولأن الأسواق لا تعني من أمر الجيد والزيف الألفاظ لغة الأزرق (الدراهم). . .

[1]- كاملي بلحاج، المرجع السابق، ص15.

وهي بعد مجامع العامة على تباين أجناسهم، ومعارض الأشياء على اختلاف جهاتها، وقد قلنا في اللغات التجارية التي لا قوام لها من نفسها وتلك حقيقة اللغات في لغة الأسواق[1].

ورأينا العلماء ألفوا كتبا(فيما تلحن فيه العامة) ككتاب أبي عبيدة، وأبي حنيفة الدينوري وأبي عثمان المازني وأبي حاتم السجشاني وكتاب الفاخر في لحن العام للمفصل بن سلمة، ولحن العامة للقراء، وكل هؤلاء لا يتجوزون المائة الثالثة، ولا يعدون في صنيعهم أن يوردوا ألفاظا من فصيح حرفتها العامة، ثم يذكرون أصلها على صحة، وذلك يدل على أن العامية لم تكن طغت على الكلام، إلا لما أمكن حصر ما يلحن فيه أهلها، بل لما كان الحصر معنى لا في القليل ولا في الكثير.

ما بعد القرن الثالث فكان يؤلف في (لحن الخاص) كالكتاب الذي وضعه أبو هلال العسكري المتوفي سنة 395هـ وسماه لحن الخاص، وكتاب الحريري المسمى (درة الخواص، في أوهام الخواص) وقد وضع له الجواليقي تتمه لأن اللحن بعد ذلك إنما كان يؤاخذ به خواص العلماء والأدباء، في كتاتبهم لا في أقوالهم ـ أما العامة فكانت مناطقهم كما قلنا: لغة في اللحن لا لحنا في اللغة ومما أعان فصاحة العامية في صدر الإسلام، قيام الدولة الأموية العربية وديانة العرب فيها بالعصبية، إلى سقوطها حتى إن الموالي ــ وهم من الأوثاب والزعانقة في رأي العرب يومئذ لاحترافهم وخدمتهم إياهم وكان يسمونها بالحمراء أقبلوا على النحو والعلوم وأولعوا به، حتى خرج منهم فقهاء الأمصار جميعا في عصر واحد، ولولا خوفهم معرة اللحن ما ثبتوا على ذلك، إلا أنه إذ كانت العرب قد أبقت عليهم فلأن خطبهم في ذلك لم يستفحل.

فلما جاءت الدولة العباسية وكان قيامها بنصرة الفرس ـ وخصوصا أهل خراسان، سورتهم وفشا من حدتهم، وكان ذلك فتقا في العربية أيضا، ولم ينتصف القرن الثالث حتى اختلط العرب بالفرس والترك والفراعنة وغيرهم من طبقات الأعاجم الذين اتخذوا الدولة، وكان ذلك بدء شيوع الألسنة الحضرية التي هي لهجات العامية.

والبعد عن اللسان ـ كما قال ابن خلدون ـ إنما هو بمخالطت العجمة فمن خال ط العجم أكثر كانت لغته عن ذلك اللسان الأصلي أبعد، لأن الملكة أنما تحصل بالتعليم، وهذه الملكة ممتزجة من الملكة الأولى التي كانت للعرب ومن الملكة الثانية التي للعجم، فعلى مقدار ما يسمعونه من العجمة ويربوم عليه، ويبتعدون عن الملكة الأولى، قال: واعتبر ذلك في أمصار إفريقيا والمغرب والأندلس والمشرق أما إفريقيا والمغرب فخالطت العرب فيها البرابرة من العجم يوقور عمرانها بهم ولم يكد يخلوا

[1]– مصطفى صادق الرافعي، تاريخ الأدب العربي، مصدر السابق، ص(200-201).

عنهم مصر ولا جيل، فغلبت العجمة فيها عن اللسان العربي الذي كان لهم، وصارت لغة أخرى ممتزجة، والعجمة فيها أغلب لما ذكرناه فهي عن اللسان الأول أبعد وكذا المشرق لما غلب العرب على أممه من فارس والترك.

فخالطهم وتداولت بينهم لغاتهم في الأكرة والفلاحين والبسي الذين اتخذوهم خولا ودايات وأظار ومراضع، فسدت لغتهم لفساد الملكة حتى إنقلبت لغة أخرى، وكذا أهل الأندلس مع عجم الخلالقة والافرنجة وصار أهل الأمصار كلهم من هذه الأقاليم أهل لغة أخر مخصوصه يهم تخالف مصر ويخالف أيضا بعضها بعضا.

ولم تملك العجم من الديلم والسلجوقية بالمشرق وزناته والبربر بالمغرب "منذ القرن الرابع" وصار لهم الملك والاستيلاء على جميع الممالك الإسلامية . فسد اللسان العربي لذلك كان يذهب، لولا ما حفظه من عناية المسلمين بالكتاب والسنة اللذين بهما حفظ الدين وصار ذلك مرجحا لبقاء العربية المضرية من الشعر والكلام، إلا قليلا بالأمصار، فلا ملك النثر والمغل بالمشرق "في النصف الثاني من القرن السابع" ولم يكونوا على دين الإسلام، ذهب المرجع وفسدت اللغة العربية على الإطلاع ولم يبق لها رسم في الممالك الإسلامية بالعراق وخراسان وبلاد فارس وأرض الهند والسند وما وراء النهر وبلاد الشمال وبلاد الروم، وذهبت أساليب اللغة العربية من الشعر والكلام، إلا قليلا يقع تعليمه صناعيا بالقوانين المتدارسة من كلام العرب، قال ابن خلدون: وربما بقيت اللغة العربية المصرية بمصر والشام والأندلس والمغرب لبقاء الدين طالبا لها، فانخفضت ببعض الشيء، وأما في ممالك العراق وما وراءه فلم يبق لها أثر ولا عين، حتى إن كتب صارت تكتب باللسان العجمي، وكذا تدريسها في المجالس[1] .

[1] – مصطفى صادق الرافعي، تاريخ الأدب العربي، مصدر السابق، ص 203.

الخـــــاتمـــة

من خلال ما درسنا وتتبعنا لجميع جوانب هذا الموضوع لاحظنا تلاقي وارتباط اللهجة العامية باللغة الفصحى في العديد من النقاط سواء في الادب بصفة عامة او في الشعر العربي بصفة خاصة ويمكن تلخيصها في ما يلي:

– تعتبر العامية عند الكثير من الدارسين والباحثين في الادب العربي لغة قائمة بذاتها تتميز بجميع الصفات التي تجعل منها اداة طبيعية للفهم والإفهام وان لها قواعد وأصول.

– كما يرى العديد من العلماء ايضا انها مأخوذة عن الفصحى او مرتبطة بها.

– يوجد في كل اللغات نموذج راقيا للعلم والأدب وهذا النموذج هو اللغة الفصحى التي تجمع بين العديد من افراد الدولة الواحدة ويقابل هذا النموذج صور لغوية كثيرة ومتنوعة بتنوع اقاليم تلك الدولة وهي التي نسميها اللهجات.

– تعد الغة العربية اهم مقومات الثقافة العربية الاسلامية وهي اكثر اللغات الانسانية ارتباطا بعقيدة الامة وهويتها وشخصيتها لذلك صمدت اكثر من سبعة عشر قرنا وظلت العامية

– تساكن الفصحى في العالم العربي ردحا من الزمن ليس بالقصير متغيرة ومتطورة من جيل الى جيل ومن اقليم الى اقليم.

– عرفنا العربية لغة انسانية حية لها نظامها الصرفي والصوتي والنحوي والتركيبي كما لألفاظها دلالتها الخاصة وقد رأى العلماء ان كل خروج على هذا النظام اللغوي المتكامل يعتبر لحنا واللهجة العامية اذن هي اللسان الذي يستعمله عامة الناس مشافهة في حياتهم اليومية لقضاء حاجاتهم والتفاهم فيما بينهم ومع مرور الزمن تتخذ هذه اللهجة صفات لغوية خاصة بها.

– بدخول الاسلام وفارقوا بيئتهم لحمل دينهم الى الامم الاخرى ودخل الناس في دين الله افواجا من مختلف الشعوب والألسنة وخالط العرب الاعاجم في حياتهم الدينية والاجتماعية والاقتصادية صار من غير الممكن المحافظة على صفاء اللغة ونقائها فنشى على السنة الناس ما عرف باللهجات العامية.

– يتبين فالشعر الفصيح الصياغة الجزلة والوصف الدقيق وقوة الاسلوب وسعة الخيال ومقدرة على التصوير والتنويع فيه بطريقة تقترب من الخلقة والإبداع اما في الشعر العامي فهذه التعابير عادية جدا لكن الجديد فيها هو طريقة النظم والترصيف لحسن استغلال المعطي الثقافي وإحلال التناسب بين التراكيب المتوازنة ما تسمى بالصيغة.

– فميزة الشاعر العامي هو ايجاد نوع من الملائمة بين ما يحس به وبين ما هو مشابهه في الواقع اما الشاعر الفصيح يحس بما يحس به الشاعر العامي إلا ان الاختلاف بينهما يظهر في ان الشعر العامي يمكن لصاحبه ان يأخذ بشكل ارتجالي وذلك لقلة ضوابطه في المقابل فان الشاعر الفصيح يجد نفسه مجبرا بإتباع مجموعة من القواعد اللغوية اثناء كتابة قصيدة ما او مجموعة من الابيات الشعرية.

واخيرا وليس اخرا نرجو من الله التوفيق والسداد ونرجو ان يكون هذا العمل بداية لمجموعة من الاعمال المستقبلية في هذا السياق حتى يستطيع الدارسون والباحثون الالمام بجميع ما يربط اللهجة العامية باللغة الفصحى.

قائمـــــــــــة المصادر والمراجع

- **أولا: القرآن الكريم.**
- **ثانيا: المصادر.**

1.ابن جني، الخصائص، تح:محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، ط2، (د.ت).

2.ابن حزم، الإحكام في أصول القرآن، دار الافاق الجديدة، بيروت، ج1، ط2، 1983م.

3.ابن خلدون، المقدمة، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، ط1، 2004م.

4.ابن عادل، تفسير اللباب، دار الكتب العلمية، لبنان، ج7، (د.ط)، (د.ت).

5.ابن عبد البر، جامع بيان العلم وفضله، دار ابن الجوزي، الدمام، ج2، (د.ط)، 1994م.

6.إبن منظور، لسان العرب، دار الصادر، بيروت، ج2، ط1، 1996م.

7.الألوسي، التفاسير، دار الاحياء التراث العربي، بيروت، (د.ط)،(د.ت)، ج21.

8.الأنباري، إنصاح الوقف والابتداء، تح: محيي الدين عبد الحميد رمضان، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق،1971م.

9.الرازي، الصاحبي في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط1، 1997م.

10. الزمخشري، أساليب البلاغة، دار الفكر العربي القاهرة للطباعة والنشر ، بيروت، (دط)، (دت).

11. عبد الرحمان جلال الدين السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المكتبة العصرية، بيروت، ج1، (د.ط)، 1987م.

12. مصطفى صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب1، دار الكتب العلمية، لبنان، ج1.

- **ثالثا: الكتب.**

13. إبراهيم السامرائي، العربية تاريخ وتطور، مكتبة المعارف، لبنان، ط1، 1993م.

14. إبراهيم أنيس، مستقبل اللغة العربية المشتركة، معهد الدراسات العربية، مصر، (د.ط)، 1960م.

15. ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، تح: ناصر بن عبد الكريم العقل، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ج1، ط2، (د.ت).

16. أبو مغلي سميح، الأساليب الحديثة لتدريس اللغة العربية، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، عمان، 1999.

17. أحمد العمايرة، بحوث في اللغة والتربية، دار وائل للنشر، الأردن، ط1، 2002م.

18. أحمد بن نعمان، واقع اللغة العربية في أجهزة الإعلام (عرض تقويمي)، منتديات طلبة علوم الاعلام و الاتصال جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم، 2010م.

19. أحمد عيسى بك، المحكم في أصول العامية، دار الاتفاق العربية، ط1، 2001م.

20. الأعداد 30،27،23،20،6 من أبريل/ نيسان و1- 4 من مايو/ أيار.

21. إميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، مكتبة العروبة للكتب و الروايات، ط1، 1982م.

22. أنور الجندي، الفصحى لغة القرآن، دار الكتاب اللبناني، بيروت، (د.ط)، 1982م.

23. أنيس فريحة، اللهجات وأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط1، 1989م.

24. أنيس فريحة، نحو عربية ميسرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1981م.

25. أوجست فيشر، مقدمة المعجم اللغوي التاريخي، دراسة تقويمية، المغرب، 2010م.

26. بكر أبو زيد بن عبد الله، حلية طالب العلم، مؤسسة الرسالة، مصر، (د.ط)، 2002م.

27. بن يحي طاهر ناعوس، واقع اللغة العربية في البلدان الافريقية، منتدى مجمع اللغة العربية، 2011م.

28. حافظ ابراهيم، الديوان، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، (د.ط)، ج2، 1980م.

29. حسين محمود كامل، اللغة العربية المعاصرة.

30. الخفاشي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، ط1، 1982م.

31. رامز محيي الدين علي، لغتنا هويتنا، ديوان العرب، السعودية، (د.ط)،(د.ت).

32. الرسالة، ج1.

33. سالم مبارك الفلق، اللغة العربية التحديات والمواجهة، دار الكتب العلمية، بيروت، ج1، (د.ط)، 2011م.

34. السيد محمود، طرائق تدريس اللغة العربية، دار الفكر العربي، دمشق،(د.ط)، 1988م.

35. شارل ديغول، مذكرات الامل، منشورات عويدات، بيروت، (د.ط)، (د.ت).

36. الشريف علي بن محمد الجرجاني، كتاب التعريفات، دار الكتب العلمية، لبنان، ط1، 1983م.

37. صالح بلعيد، فقه اللغة العربية، دار همسه للنشر، القاهرة، (د.ط)، 2000م.

38. الصفدي، البينين في الوافي بالوفيات، دار الريان، بيروت، ج3، (د.ط)، 2008م.

39. صيحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، دط، 1986.

40. عبد الرحمان الحاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، موقع للنشر، الجزائر، 2007م.

41. عبد الملك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، مركب الطباعة الراية، (د ط)،1981م.

42. عبد المولى ومحمد علاء الدين، وجهة نظر في واقع اللغة العربية، الحوار المتمدن، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 2006م.

43. علي القاسمي، دراسات في السياسة اللغوية، مكتبة الناشرون، لبنان، 2010.

44. علي عبد الواحد وافي، فقه اللغة، دار النهضة، مصر للطباعة والنشر القاهرة، (د.ط)، (د.ت).

45. فتحي جمعة، اللغة الباسلة، دار النصر للطباعة والنشر، مصر، ط1، 2000م.

46. فرحان السليم، اللغة العربية ومكانتها بين اللغات، منتدى مجمع اللغة العربية، 2004م.

47. فضيلة طريلي وآخرون، مذكرة بين الفصحى والعامية دراسة في التراكيب النحوية،، كلية العلوم الانسانية ولاالجتماعية، جامعة باتنة، 2004-2005م.

48. كاملي بلحاج، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة "قراءة في المكونات والأصول"، من منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2004م.

49. كمال بشر، علم اللغة الإجتماعي، دار الغريب، مصر، ط3، 1997م.

50. لويس معروف، المنجد في اللغة والإعلام، دار دمشق للطباعة والنشر، لبنان، ط2، 1984م.

51. مارون غصن، درس ومطالقة، المكتبة الكاثوليكية للادباء اليسموميين، بيروت، (د.ط)، 1925م.

52. محمد امبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983م.

53. محمد امبارك، فقه اللغة وخصائص العربية، دار الحداثة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1983م.

54. محمد صلاح الدين، تدريس اللغة العربية في المرحلة الثانوية، كلية التربية جامعة عين شمس، 1420ه/2000م.

55. محمد عبد المرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، تح:عبد السلام محمد هارون، دار الكتاب العربي، لبنان، (د.ط)، 1925م.

56. محمد علي، محمود إبراهيم، واقع العربية اليوم، دار الكتب العلمية، بيروت، (د.ط)، 2006م.

57. محمد محمد داود، معجم ألفاظ الكلام في العامية دار الغريب للنشر، مصر، (د.ط)، (د.ت).

58. مدكور أحمد علي، التربية وثقافة التكنولوجيا، دار الفكر العربي، مصر، ط1، (د.ت).

59. نايف محمد معروف، خصائص العربية وطرائق تدريسها-الموجه الفني لتدريس اللغة العربية في مدارس الأونروا-اليونسكو، لبنان، دار النفائس، ط1، 1998م.

60. نذير محمد مكتبي، الفصحى في مواجهة التحديات، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر، بيروت، ط2، 1991م.

61. نفوسة زكريا سعيد، تاريخ الدعوة إلى العامية وأثرها في مصر، دار الثقافة، الاسكندارية، (د.ط)، 1964م.

- **رابعا: مجلات والمقالات.**

62. محمود محمد مصطفى، اللغة العربية الفصحى، مجلة الازهر، العدد 1، القاهرة، 1893م.

63. مقالة الراهب الفرنسي غريغوار، ازدواجية اللغة، منتدى السياسات اللغوية بين الامم المتقدمة، 2010م.

64. مقالة للفيلسوف الالماني جوهان جوتليب فيخته، واقع اللغات والطموحات، منتدى مجمع اللغة العربية، 2006م.

- **خامسا: المواقع الاليكترونية والمنتديات.**

65. الموقع الإلكتروني: (arlsadin) mkodos.com 28 فيفري1923، الساعة 21:20.

- **سادسا: ملتقيات.**

66. الفصحى وعامياتها لغة التخاطب بين التقريب والتهذيب أعمال الندوة الدولية التي نظمت بالتعاون مع وزارة الثقافة ضمن فعاليات الجزائر عاصمة الثقافة العربية 2007 يومي 04-05 يونيو 2007- الجزائر.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ–ب
الفصل الأول: ماهية العامية واللغة الفصحى	
أولا: ماهية العامية	5
1– تعريف العامية.	5
2– أقسامها.	6
3– خصائصها.	8
4– العامية عند العرب.	12
5– الدعوة للعامية.	16
ثانيا: ماهية اللغة الفصحى.	22
1– نشأة الفصحى.	22
2– مميزاتها.	26
3– خصائصها.	31
4– الأهمية.	35
5– علاقة اللغة العربية بالعامية.	39
6– أسباب ضعف اللغة العربية.	41
الفصل التطبيقي: علاقة اللهجة باللغة الفصحى	
1– اللغة العربية وتحديات الازدواجية اللغوية (الواقع والحلول).	44
2– الفصحى والعامية.	47
3– النموذج التطبيقي.	49
4– دراسة مقارنة بين النموذجين.	51

5- طغاء العامية على العربية الفصحى	54
الخاتمة	59-58
قائمة المصادر والمراجع	64-61